لقد وجدت هذا النص مكتوبًا على دفتر صغير بجانب الجثة. بدا وكأن الكاتب كان يعلم أنه لن يعود لأخذه. كل شيء في النص يوحي بأنه كتب بيد شخصٍ كان غريبًا عن الحياة، غريبًا عن البشر، وغريبًا حتى عن نفسه.

لا أعرف شيئًا عن هذا الرجل، ولا أستطيع أن أجزم إن كان حيًا من الأساس أثناء كتابة هذه الكلمات. يبدو لي أن جزءًا منه كان ميتًا منذ فترة طويلة.

كل ما أستطيع قوله الآن هو أنني مجرد شاهد على هذه الكلمات. لا أعرف الحقيقة، ولا أدعي فهم ما مر به. لكنه، بطريقة أو بأخرى، جعلني أشعر بأنني لا أريد أن أفهم.

ربما كان هذا هو هدفه، أن يزرع الشك، أن يجعلنا ننظر إلى أنفسنا دون أقنعة. لكنه لم يترك مجالًا للعودة. النص انتهى، وحياته انتهت معه.

هذا كل ما وجدته. وهذا كل ما يمكنني قوله. أي محاولة لفهم هذا النص أو صاحبه ليست سوى عبث. النهاية تنتمي له، وللظلام الذي قرر أن يعانقه.

تحذير:

تحتوي هذه القصة على مواضيع قد تكون غير مناسبة لجميع الأعمار. يُنصح بالحذر عند القراءة إذا كنت حساسًا لمواضيع مثل الألم النفسي، الاكتئاب، والصراعات الداخلية. يرجى أخذ ذلك في الاعتبار قبل متابعة القراءة.

كتاب **لعنة الوجود**

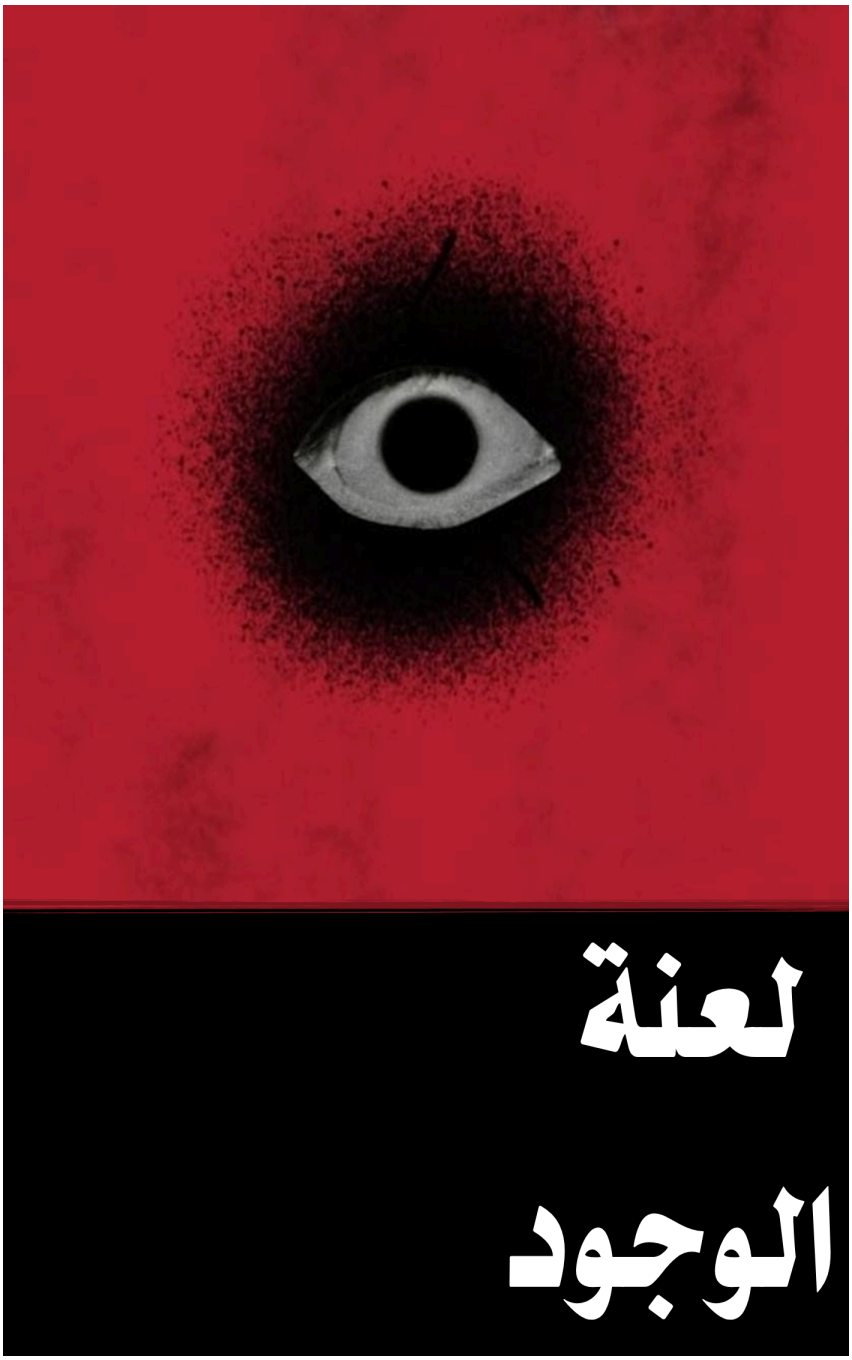

كتاب من تأليف ***Wàn Xhí Ràng***
الترجمة ***Wàn Arabic***

ولادة الخطأ

لم أكن أطلب أن أكون هنا. لم أطلب هذه الحياة، هذا الجسد، هذا العقل الملوث بآفة الإنسانية. منذ اللحظة التي خرجت فيها إلى هذا العالم، شعرت بأن شيئًا خاطئًا قد حدث. وكأنني، دون أي اختيار مني، قُذفت في هاوية لا قاع لها. لم أشعر يومًا بالانتماء، ولم أرغب في المحاولة.

عندما فتحت عينيّ لأول مرة، لم أر إلا الوجوه. وجوه لا تحمل شيئًا سوى العبث. كانت نظراتهم جوفاء، رغم محاولاتهم البائسة للتظاهر بالفرح. هل كانوا يفرحون حقًا؟ أم أنهم ببساطة يجبرون أنفسهم على ذلك؟ لم أفهم وقتها. لكنني أعرف الآن أن

البشر مخلوقات مصطنعة، كل شيء فيهم زائف. كل شعور، كل كلمة، كل فعل، حتى نبض قلوبهم ليس إلا إيقاعًا بلا معنى.

أتذكر طفولتي، رغم أنني أفضّل ألا أفعل. تلك السنوات التي قضيتها في محاولة فهم العالم من حولي. كلما نظرت إلى الآخرين، شعرت بأن هناك فجوة هائلة بيني وبينهم. كانوا يضحكون، يلعبون، يجرون في الحقول كأن الحياة لعبة صغيرة جميلة. أما أنا، فكنت أجلس وحدي، أتأملهم من بعيد. لم أكن أفهمهم، ولم أرغب في ذلك. كنت أشعر بأنني دخيل، غريب، كائن مختلف تمامًا عنهم.

أمي كانت تنظر إليّ بعينيها الواسعتين المليئتين بالشفقة. كانت تقول لي دائمًا: "لماذا لا تكون مثل الآخرين؟" لم أكن أعرف الإجابة، ولا أظن أنها كانت تعرف. لكنني كنت أرى في عينيها شيئًا آخر، شيئًا أكثر قتامة. كنت أرى فيها ندمًا خفيًا، وكأنها تندم على إنجابي. ربما كانت محقة. ربما كنت مجرد خطأ، كائنًا أُوجد عن طريق الصدفة، بلا غاية، بلا هدف.

كنت أكره المدرسة. لم أكن أكرهها لأنها كانت صعبة، بل لأنني كنت مضطرًا للتعامل مع البشر. تلك المخلوقات

الصغيرة التي كانت تتنمر عليّ، تهمس في أذني بكلمات مليئة بالسخرية. كانوا يضحكون عليّ، لكنني كنت أراهم على حقيقتهم. كنت أرى الخوف في عيونهم، الخوف من الاختلاف، من أي شيء لا يستطيعون فهمه. كنت أراهم يحاولون قمع هذا الخوف بالسخرية، بالكلمات الجارحة، بمحاولات تدميري.

لكنني لم أكن بحاجة إلى أحد لتدميري. كنت أفعل ذلك بنفسي. كل ليلة، كنت أجلس في غرفتي المظلمة، أتأمل في السقف، أفكر في كل شيء وكل لا شيء. لماذا أنا هنا؟ لماذا أنا على قيد الحياة؟ لم أجد إجابة أبدًا.

البشر يحبون الأجوبة. يحبون أن يجدوا معنى لكل شيء، حتى عندما لا يكون هناك معنى. يخترعون الأديان، الفلسفات، الأفكار العظيمة، فقط ليقنعوا أنفسهم بأن هناك سببًا لكل شيء. لكنني لم أكن أحتاج إلى هذه الأكاذيب. كنت أعرف الحقيقة. الحقيقة هي أنه لا يوجد معنى. لا شيء مهم.

أحيانًا كنت أقف أمام المرآة، أنظر إلى وجهي. لم أكن أرى إنسانًا. كنت أرى شيئًا آخر. شيئًا بلا شكل، بلا روح. كنت أشعر وكأنني مجرد قشرة فارغة، كأنني شبح يسكن جسدًا

بشريًا. هل هذا هو ما يعنيه أن تكون إنسانًا؟ أن تتظاهر؟ أن تكذب؟

البشر يحبون الكذب. يكذبون على أنفسهم، يكذبون على بعضهم البعض. يقولون إنهم يحبون، إنهم يهتمون، إنهم يريدون الخير للجميع. لكنني أعرف حقيقتهم. خلف كل كلمة جميلة، هناك خنجر مخبأ. خلف كل ابتسامة، هناك سخرية.

لم أكن أكرههم فقط. كنت أكره كل شيء. العالم بأسره كان يبدو لي وكأنه مكان مسموم، مليء بالأكاذيب والخداع. حتى الطبيعة، تلك التي يحبها البشر ويمجدون جمالها، كانت تبدو لي قاسية، لا ترحم. السماء كانت دائمًا رمادية في عيني، حتى عندما كانت الشمس مشرقة. البحر كان يبدو لي كوحش، ينتظر أن يبتلع أي شيء يقترب منه.

كنت أتساءل دائمًا: هل كان يجب أن أكون هنا؟ هل أنا مجرد خطأ؟ أم أنني عقاب لهذا العالم؟

البشر يعتقدون أن لكل شيء غاية. لكنني أعتقد أنني الاستثناء. أنا هنا بلا سبب، بلا معنى. ربما، فقط ربما، وُجدت لأكون اللعنة التي تطارد هذا العالم. لعنة الوجود.

أقنعة البشر

هناك شيء يثير الاشمئزاز في الطريقة التي يظهر بها البشر أنفسهم للعالم. أقنعتهم. تلك الأقنعة الرخيصة التي يختارون ارتدائها صباحًا قبل أن يغادروا منازلهم. أقنعة السعادة، أقنعة القوة، أقنعة الفضيلة. كل شيء مزيف. كل ابتسامة يرسمونها على وجوههم تخفي خلفها كراهية أعمق مما يمكن أن يتخيله أحد.

لقد كنت مراقبًا طوال حياتي، أتأمل في سلوكهم كأنني أراقب حيوانات في قفص. كانت الحياة بالنسبة لي مسرحية هزلية سخيفة، والبشر هم الممثلون الذين يخطئون في كل مشهد. لم يكن هناك شيء حقيقي في تصرفاتهم. كل شيء كان مخططًا له، مبرمجًا، وكأنهم آلات تتبع أوامر غبية.

في المدرسة، كانت الأقنعة تزداد وضوحًا. الأطفال يتظاهرون بالبراءة، لكنني كنت أرى الوحوش الحقيقية بداخلهم. كانوا يتظاهرون بالصداقة، لكن في اللحظة التي يدير أحدهم ظهره، كانوا ينهشونه بألسنتهم السامة. كانوا يضحكون، يمرحون، يتحدثون عن أحلامهم الصغيرة السخيفة، لكن كل شيء كان

يبدو لي بلا معنى. كيف يمكنهم أن يكونوا بهذا الغباء؟ كيف يمكنهم أن يصدقوا أن العالم يهتم بهم؟

كان هناك معلمون يتحدثون عن الأخلاق، عن الحب، عن أهمية التعاون. كلماتهم كانت كريهة مثل هواء فاسد يدخل أنفي. كانوا يلقون علينا دروسهم المثالية، بينما كنت أرى في أعينهم ما كانوا يحاولون إخفاءه. كان فيهم الحسد، الغضب، خيبة الأمل. كانوا هم أنفسهم ضحايا لهذه الأقنعة.

أتذكر يومًا كنت أجلس فيه في إحدى الزوايا، أتأمل زميلًا لي. كان يتحدث مع أصدقائه، يضحك بصوت عالٍ وكأنه ملك العالم. لكنني رأيت ما لم يره أحد. رأيت كيف كان يبتلع غصته بصعوبة عندما كانوا يضحكون عليه في غيابه. رأيت كيف كان يحاول إخفاء حزنه تحت ضحكته الزائفة. في تلك اللحظة، أدركت شيئًا مهمًا. البشر لا يرتدون الأقنعة فقط ليخدعوا الآخرين؛ بل يرتدونها ليخدعوا أنفسهم أيضًا.

حتى في المنزل، كنت أرى الأقنعة. أمي، تلك المرأة التي كانت تدّعي الحب والرعاية، كانت تحمل في داخلها إحساسًا عميقًا بالندم. كنت أرى ذلك في كل حركة، في كل كلمة. كانت

تخاف مني. لم تقلها أبدًا، لكنها كانت واضحة. ربما لأنها شعرت أنني كنت أراها على حقيقتها. أبي كان غائبًا بمعظم الأحيان، وعندما كان يعود، كان يبدو كأنه ظل إنسان. حديثه كان خاليًا من المعنى، كلماته كانت كأنها تخرج من آلة مكسورة.

الناس في الشوارع لم يكونوا مختلفين. الوجوه التي تمر بجانبك، كل واحد منهم يحمل قناعًا مختلفًا. البعض يتظاهر بالسعادة، البعض يتظاهر بالقوة، والبعض يتظاهر باللامبالاة. لكنني كنت أعرف حقيقتهم. كنت أرى الخوف، القلق، الحزن. كنت أرى الجحيم الذي يعيشون فيه.

في بعض الأحيان، كنت أفكر: لماذا يحتاجون إلى الأقنعة؟ لماذا لا يواجهون حقيقتهم؟ لكن الإجابة كانت دائمًا واضحة. لأنهم ضعفاء. البشر لا يستطيعون تحمل حقيقة أنفسهم. لا يستطيعون مواجهة الظلام الذي يعيش في داخلهم. لذلك يختارون الاختباء خلف الأقنعة، كأنها دروع تحميهم من مواجهة أنفسهم.

أنا لم أرتدِ قناعًا أبدًا. كنت أرفض ذلك. كنت أريد أن أعيش على حقيقتي، مهما كانت مؤلمة. لكن ذلك جعلني منبوذًا. البشر لا يحبون من يكشف لهم حقيقتهم. كانوا يخافون مني، يبتعدون عني. كنت كالمرآة التي تعكس قبحهم.

أذكر يومًا اقترب مني زميل في المدرسة، كان يبدو وكأنه يريد أن يكون لطيفًا معي. سألني: "لماذا تبدو دائمًا حزينًا؟" نظرت إليه بصمت، ثم قلت: "لأنني أرى حقيقتك." لم يفهمني بالطبع. ضحك وقال شيئًا سخيفًا قبل أن يبتعد. لكنني كنت أعلم أن كلماتي بقيت عالقة في ذهنه.

الحقيقة هي أن البشر لا يريدون الحقيقة. هم يعيشون في عالم من الأكاذيب، ويكرهون من يحاول أن يكشف لهم ذلك. أنا كنت ذلك الشخص. كنت الكائن الذي يرفض أن يكون مثلهم، يرفض أن يرتدي الأقنعة.

لكن هذا جعل حياتي جحيمًا. أن تكون مختلفًا عنهم يعني أن تكون وحيدًا. أن تكون صادقًا يعني أن تكون مكروهًا. في النهاية، أدركت أنني لست جزءًا من هذا العالم. أنا شيء آخر،

شيء لا ينتمي. كنت دائمًا أقول لنفسي: "ربما أنا لست إنسانًا." وربما كنت محقًا.

عبثية الحياة

كلما تقدمت في العمر، كلما أدركت عبثية كل شيء. البشر يحبون التظاهر بأن حياتهم تحمل معنى، بأنهم يسعون لتحقيق شيء أعظم. لكنني كنت أرى الحقيقة. الحياة ليست سوى سلسلة من الأحداث العشوائية، تتابع بلا هدف، بلا غاية. كأن العالم بأسره مجرد آلة مكسورة تدور بلا توقف، تصدر ضجيجًا بلا أي لحن.

كنت أرى الناس وهم يركضون، يتسابقون، يتحدثون بحماس عن أحلامهم. كانوا يعملون، يحبون، يكرهون، يحاربون، كل ذلك بدافع واحد: إقناع أنفسهم بأن هناك شيئًا ينتظرهم في النهاية. لكنني كنت أعرف أن كل ذلك وهم. النهاية واحدة للجميع. حفرة في الأرض، صمت أبدي، ونسيان.

كنت أستيقظ كل صباح وأنا أسأل نفسي: لماذا؟ لماذا أستمر؟ كنت أعيش كأنني آلة مبرمجة. أفتح عيني، أنهض من السرير،

أتناول طعامًا لا طعم له، أذهب إلى أماكن لا أريد الذهاب إليها. كنت أعيش كما لو أنني أتحرك على خيوط مشدودة، مثل دمية في يد مصمم قاسي لا أستطيع رؤيته.

لم يكن هناك شيء في هذا العالم يمنحني الراحة. حتى الطبيعة التي يمجدها الناس كانت تبدو لي مجرد استعراض خادع. كانوا يتحدثون عن جمال الزهور، عن عظمة الجبال، عن رهبة البحر. لكنني لم أر سوى الصمت البارد. لم تكن الطبيعة تحب البشر؛ كانت غير مبالية بهم. كأنها تتحدى وجودهم، تتجاهلهم وكأنهم لا شيء.

البشر يحبون التحدث عن الحب، عن السعادة، عن الجمال. لكن كل هذه الأشياء تبدو لي أكاذيب مخترعة، مسكنات مؤقتة للهروب من الحقيقة. الحب ليس سوى خدعة بيولوجية لإبقاء الأنواع على قيد الحياة. السعادة ليست سوى لحظة زائلة، تتلاشى بمجرد أن تلمسها. والجمال؟ الجمال هو الكذبة الكبرى، وسيلة البشر لتحويل القبح الذي يحيط بهم إلى شيء يمكنهم تحمله.

أتذكر يومًا قررت أن أجرب شيئًا مختلفًا. خرجت من منزلي، دون أي هدف أو وجهة. مشيت لساعات طويلة، أتأمل في الوجوه التي تمر بجانبي. كانوا جميعًا متشابهين، وكأنهم نسخ مكررة من بعضهم البعض. وجوههم تحمل نفس التعبير: مزيج من الإرهاق، اللامبالاة، والقلق. كنت أرى في أعينهم تساؤلًا صامتًا: "لماذا نحن هنا؟"

وفي تلك اللحظة، أدركت شيئًا. البشر جميعهم يعيشون نفس الكذبة، لكنهم يختلفون في طريقة التعامل معها. البعض يختار التجاهل، البعض يختار الهروب، والبعض الآخر يختار القتال. لكن في النهاية، كلهم خاسرون. لا أحد يستطيع الهروب من عبثية الحياة.

حتى الموت، الذي يتحدث عنه الجميع كأنه نهاية كل شيء، لم يكن يبدو لي حلاً. كنت أفكر فيه كثيرًا، أتساءل كيف سيكون الشعور. هل سيمنحني السلام؟ هل سيحررني من هذا العالم الملعون؟ لكنني كنت أعرف أنه مجرد وهم آخر. الموت ليس سوى انتقال من عبثية الحياة إلى عبثية أخرى، مجهولة.

كانت الليالي أسوأ الأوقات بالنسبة لي. في الصمت المظلم، كانت أفكاري تصبح أعلى، أشد قسوة. كنت أسمع أصواتًا في رأسي، تهمس لي بحقائق لا أريد سماعها. كانت تقول لي: "أنت لست شيئًا. أنت مجرد ذرة غبار في هذا الكون اللامتناهي. وجودك بلا معنى، حياتك بلا قيمة."

لكن الغريب أنني لم أكن أشعر بالحزن. على العكس، كنت أشعر بنوع من الراحة. ربما لأنني كنت أعيش بلا توقعات، بلا أمل. البشر يخافون من فقدان الأمل، لكنني كنت أعرف أنه أكبر كذبة اختلقوها. الأمل هو الذي يدفعهم إلى الاستمرار في هذه المسرحية السخيفة. أما أنا، فقد كنت خاليًا من الأوهام.

كنت أتساءل أحيانًا: هل هناك أحد مثلي؟ هل هناك من يرى العالم بنفس الطريقة؟ كنت أشعر بأنني الوحيد الذي يفهم الحقيقة. كنت أرى البشر وكأنهم أطفال يلعبون في عالم مصنوع من الورق، بينما كنت أقف خارجه، أراقبهم بصمت.

في النهاية، لم أكن أكره البشر لأنهم كانوا أشرارًا أو قاسيين. كنت أكرههم لأنهم كانوا ضعفاء. كنت أكرههم لأنهم كانوا يعيشون في كذبة، ويعرفون ذلك، لكنهم يختارون الاستمرار.

كنت أكرههم لأنهم كانوا يمثلون كل ما كنت أرفضه: الخوف، الجهل، التظاهر.

كنت أقول لنفسي دائمًا: "ربما لم يكن يجب أن أكون هنا. ربما كنت خطأ، شذوذًا في هذا النظام." لكن كلما فكرت أكثر، كلما شعرت بأنني الوحيد الذي كان يرى الأمور على حقيقتها. كأنني لعنة أُرسلت لهذا العالم لتكشف حقيقته.

عبث الأقدار

هل سبق لك أن شعرت أنك خُلقت فقط لتكون شاهدًا على سخافة هذا العالم؟ أن وجودك نفسه كان خطأً فادحًا، مزحة سيئة ألقتها الأقدار عليك؟ كنت أشعر بذلك كل يوم، كل لحظة، حتى أنفاسي كانت تبدو لي وكأنها عقاب مستمر.

البشر، هؤلاء المخلوقات المتعجرفة، يتحدثون عن القدر وكأنه خطة مدروسة، شيء يُرشدهم، يمنحهم معنى. لكنني كنت أرى العكس تمامًا. القدر لم يكن سوى سلسلة من الأحداث العشوائية، كأن الكون يلعب بالنرد، يلقي بالنتائج دون اكتراث.

لا توجد خطة، لا يوجد هدف، لا يوجد شيء سوى الفوضى المطلقة.

كنت أرى نفسي كشخصية هامشية في قصة لم أطلب أن أكون جزءًا منها. أراقب الآخرين وهم يتصرفون وكأنهم أبطال في رواياتهم الخاصة. يضحكون، يبكون، يحلمون. لكن كل ذلك كان يبدو لي كتمثيلية سخيفة. كنت أرى حياتهم وكأنها مشهد مكرر، سيناريو رديء يُعاد مرارًا وتكرارًا.

كان البشر دائمًا يبحثون عن إجابات، عن أسباب تبرر وجودهم. لكنني لم أكن بحاجة إلى أي إجابة. كنت أعرف الحقيقة: نحن هنا بلا سبب، بلا غاية. مجرد ذرات عشوائية تتحرك في فوضى الكون. وكل محاولاتهم لإضفاء المعنى على حياتهم لم تكن سوى محاولات يائسة للهروب من هذا الواقع.

الناس يحبون الحديث عن "الخير" و "الشر"، كأن العالم يمكن تقسيمه إلى هذين المفهومين البسيطين. لكنني كنت أعرف أن كل ذلك هراء. لا يوجد خير، لا يوجد شر. هناك فقط القوة، فقط السيطرة. البشر أنفسهم ليسوا سوى مخلوقات تتبع غرائزها، تسعى وراء شهواتها، تدمر كل ما يقف في طريقها.

أتذكر مرة أخرى تلك اللحظة التي أدركت فيها عبثية كل شيء. كنت جالسًا في مقهى صغير، أراقب الناس. كانت هناك امرأة تحمل طفلها بين ذراعيها، تبتسم له وكأن العالم كله موجود فقط من أجله. وفي الزاوية الأخرى، كان هناك رجل عجوز يجلس وحيدًا، ينظر إلى كأسه الفارغ كأنه ينتظر النهاية.

في تلك اللحظة، شعرت بمدى السخافة. هذا الطفل، الذي يبدو بريئًا الآن، سيكبر ليصبح نسخة أخرى من هذا الرجل العجوز. سيمر بنفس الدوامة: الأمل، الحب، الخيانة، الفقدان، الألم. وفي النهاية، الموت. نفس القصة تُعاد مرارًا وتكرارًا، كأن البشرية بأكملها عالقة في دائرة لا مفر منها.

كنت أشعر وكأنني الوحيد الذي يرى الحقيقة. البشر يحبون الحديث عن "الإنسانية"، كأنها شيء مقدس، شيء يُميزهم عن الحيوانات. لكنني لم أكن أرى سوى وحوش ترتدي أقنعة. كانوا يكذبون، يخدعون، يقتلون. كل ذلك تحت ستار الأخلاق، تحت شعارات الحب والسلام.

حتى الطبيعة التي يتغنون بجمالها لم تكن سوى انعكاس آخر لفوضاهم. كنت أرى في الأشجار التي يعبدونها أذرعًا ميتة تمتد نحو السماء، كأنها تستجدي الخلاص. كنت أسمع في صوت البحر صرخة غضب، في الرياح نحيبًا. الطبيعة نفسها كانت تبدو لي كأنها تعكس سخطها على هذا الجنس المدمر.

كنت أكره كل شيء. أكره أصواتهم، وجوههم، كلماتهم. كنت أكره حتى نفسي. كنت أشعر أنني جزء من هذا العالم، رغم أنني لم أختر ذلك. كنت أرى نفسي كجرح مفتوح في هذا الجسد المتعفن.

لم يكن لدي أمل في أي شيء. لم أكن أبحث عن إجابات، أو خلاص. كنت أعرف أن النهاية واحدة للجميع. لكنني كنت أعيش فقط لأنني لم أملك خيارًا آخر. كنت أشعر كأنني عالق في لعبة لم أطلب أن ألعبها، لكنني مضطر للاستمرار فيها.

كنت أقول لنفسي: "ربما كان يجب أن أكون شيئًا آخر. ربما لم يكن يجب أن أكون إنسانًا." لكنني كنت أعرف أن ذلك مجرد وهم آخر. كرهت كل شيء، حتى نفسي. وفي ذلك الكره، وجدت نوعًا من السلام.

المرآة الملعونة

يقولون إن المرآة لا تكذب. إنها تعكس الحقيقة بكل قسوتها، دون تزييف أو تلطيف. ولكن ماذا لو كانت الحقيقة نفسها كذبة؟ ماذا لو كانت المرآة تُظهر شيئًا لا يمكن احتماله؟

في كل مرة كنت أقف أمام المرآة، كنت أواجه ذلك الوجه. ذلك الوجه الذي يُفترض أنه وجهي. عينان ميتتان، شفاه مشدودة كأنها تخفي صرخة. لم أستطع رؤية إنسان يقف أمامي، فقط شبح. كنت أشعر أنني أواجه كائنًا غريبًا، شيئًا بلا روح، بلا قلب، بلا حياة.

كل التفاصيل كانت تثير اشمئزازي. عيني، تلك التجاويف الفارغة التي تنظر إلى العالم بلامبالاة. يدي، التي تحملت خطايا لا تحصى. حتى صوت أنفاسي كان يبدو كجريمة في حد ذاته. كنت أكره كل جزء مني، كأنني أُجبر على حمل هذا الجسد كعقاب دائم.

البشر، بمراياهم المصقولة، يحبون الحديث عن الجمال. لكنني كنت أرى في الجمال كذبة أخرى. كان الجمال مجرد خدعة، قناع يرتديه البشر لإخفاء قبحهم الداخلي. كنت أرى من خلال هذا القناع، إلى أعماق أرواحهم الملوثة. كنت أرى كم هم ضعفاء، كم هم زائفون.

مرات عديدة، كنت أفكر في تحطيم تلك المرآة. لكنني كنت أعرف أن الكسر لن يغير شيئًا. لن يزيل القبح. كان القبح في داخلي، في دمي، في روحي. كنت أشعر أنني محاصر داخل هذا الجسد كأنني داخل قفص.

كنت أتساءل: "كيف يمكن لشخص أن يحب نفسه؟ كيف يمكن لأي إنسان أن ينظر في المرآة ولا يشعر بالرعب؟" كنت أرى البشر يتغنون بأنفسهم، يمجدون أجسادهم، لكنني كنت أراهم على حقيقتهم: مجرد لحم وعظام، مآلهم التعفن والانحلال.

كنت أحسد الحيوانات، تلك المخلوقات التي تعيش دون إدراك، دون وعي. لم تكن مضطرة لمواجهة المرآة، لم تكن مضطرة للشعور بالعار أو الندم. كنت أشعر أنني أُعاقب على امتلاكي لهذا الوعي، كأنه لعنة أُلقيت عليّ دون سبب.

في إحدى الليالي، وقفت أمام المرآة لوقت طويل. كنت أنظر إلى عيني كأنني أحاول أن أجد شيئًا، أي شيء. ولكنني لم أجد سوى الفراغ. ذلك الفراغ الذي يملأني، الذي يستهلكني ببطء.

حينها بدأت أتحدث إلى المرآة. ليس بصوت عالٍ، بل في داخلي. قلت لها: "أنتِ الشاهدة الوحيدة على عاري. أنتِ الوحيدة التي تعرف الحقيقة. لكنكِ لن تنطقي أبدًا. ستظلين هناك، تعكسينني بصمتك القاتل."

كنت أشعر أن المرآة نفسها تكرهني. كانت تذكرني بكل شيء أردت نسيانه، بكل جرح، بكل خيبة أمل. كانت كأنها سجانتي، تسخر من ضعفي، من عجزي.

في تلك الليلة، أمسكت بالمرآة بين يدي. كنت أرغب في كسرها، في تدميرها. لكنني توقفت. أدركت أن الكسر لن يحررني. لن يغير شيئًا. كنت أعرف أنني سأظل محاصرًا في هذا الجسد، في هذا العالم.

حينها شعرت بشيء جديد: الكراهية. ليست كراهية العالم أو البشر فقط، بل كراهية نفسي أيضًا. كنت أكره كل شيء، كل لحظة، كل نفس. كنت أكره حتى هذا الشعور بالكراهية.

وقفت أمام المرآة لآخر مرة تلك الليلة، وقلت لها: "أنتِ وأنا واحد. نحن نكره بعضنا، لكننا لا نستطيع الفكاك. سنظل عالقين معًا إلى الأبد، كأننا لعنة أُرسلت لنفسد هذا العالم."

ثم أطفأت الضوء، وتركت المرآة خلفي. لكنني كنت أعرف أنني لن أستطيع الهروب منها. كنت أعرف أنها ستظل هناك، تنتظرني، تعكسني بكل قبح الحقيقة.

حفلة الأقنعة

البشر، تلك الكائنات المسرحية، يتفننون في لعب أدوارهم. يجتمعون في حفلاتهم، يرتدون أقنعتهم المصقولة، يبتسمون بابتسامات مزيفة، ويتبادلون كلمات لا معنى لها. كل شيء فيهم مصطنع، حتى دموعهم تبدو وكأنها مشهد هزلي في مسرحية تافهة.

جلست في زاوية مظلمة من تلك الحفلة البائسة، أراقبهم. كنت كأنني شبح يتسلل بين الحاضرين، غير مرئي وغير مرغوب. لم أكن أريد أن أكون هناك، ولكن كأنني عالق في دائرة لا مفر منها.

كل ضحكة كانت تخترق أذني كطعنة، كل نظرة كانت تبدو كإهانة. كنت أراهم يثرثرون، يرفعون كؤوسهم، يتظاهرون بالسعادة. لم أكن أفهم كيف يمكنهم تحمل هذا العبث. كانوا يتحدثون عن أشياء لا معنى لها، عن المال، عن السلطة، عن أزياء جديدة ومطاعم فاخرة. كنت أتساءل: "هل هذا كل ما يشغلهم؟ هل هذا هو كل ما يهمهم؟"

كنت أشعر بالغثيان وأنا أراهم. كانت وجوههم كالأقنعة، ملساء وخالية من أي عمق. عيونهم كانت مليئة بالطمع، وأفواههم كانت تنطق بالأكاذيب. كانوا يشبهون الدمى، تتحرك بخيوط غير مرئية تحكمها أهواؤهم.

في لحظة ما، اقترب مني أحدهم، رجل ببدلة أنيقة وعطر نفاذ. قال لي بابتسامة زائفة: "لماذا تجلس هنا وحدك؟ تعال وشاركنا الحديث."

نظرت إليه، شعرت وكأنني أواجه شيطانًا يتخفى خلف قناع إنسان. لم أستطع الرد. كنت أريد أن أصرخ في وجهه: "أنت لست إنسانًا، أنت مجرد آلة ناطقة، مجرد كومة من الأكاذيب." لكنني اكتفيت بالصمت.

كان هناك شيء مثير للاشمئزاز في طريقته. طريقته في الوقوف، في تحريك يديه، حتى صوته كان يثير في نفسي شعورًا لا يوصف بالكراهية. كأن كل جزء منه مصمم ليجعلني أكره الحياة أكثر.

أدركت فجأة أنني أكرههم جميعًا، ليس فقط هذا الرجل. أكره هذه الحفلة، أكره هذه الأقنعة. كنت أشعر أنني في وسط مستنقع، محاط بوحوش ترتدي ملابس أنيقة.

نهضت من مكاني، أردت أن أغادر. لكن عندما وصلت إلى الباب، توقفت. شعرت أنني لا أستطيع الهروب. العالم كله كان يبدو كأنه حفلة أقنعة لا تنتهي. حتى لو غادرت هذه الغرفة، كنت أعرف أنني سأواجه نفس الوجوه، نفس الأكاذيب.

عدت إلى مكاني وجلست. كنت أشعر بالاختناق، كأنني أغرق في بحر من الكذب. كنت أريد أن أصرخ، أن أكسر كل شيء حولي. لكنني كنت عاجزًا. كنت مجرد شاهد صامت على هذه المأساة البشرية.

في تلك اللحظة، أدركت أنني مختلف عنهم. لم أكن أستطيع التظاهر مثلهم، لم أكن أستطيع الكذب. كنت أكرههم لأنهم يجسدون كل ما أكرهه في نفسي. كنت أكرههم لأنهم يذكرونني بحقيقتي، بحقيقة أنني واحد منهم.

وحين انتهت الحفلة، غادر الجميع، تاركين خلفهم بقايا أقنعتهم. كنت الوحيد الذي بقي. نظرت إلى الغرفة الفارغة، وشعرت أنني أقف أمام مرآة عملاقة. كنت أرى كل شيء، كنت أرى نفسي.

وحينها فقط، أدركت الحقيقة المرعبة: لم أكن أكرههم لأنهم مختلفون عني. كنت أكرههم لأنهم يشبهونني أكثر مما كنت أريد الاعتراف.

عبث العزلة

العزلة... كلمة تبدو كملجأ، كخلاص مؤقت من صخب البشر وأكاذيبهم. لكنني اكتشفت أنها ليست سوى قفص آخر. كنت أهرب منهم، لكنني كنت أهرب أيضًا من نفسي، من تلك الأفكار التي تتدفق بداخلي كطوفان لا يتوقف.

كنت أعيش في غرفة صغيرة، بالكاد تتسع لنفسي، محاطة بجدران رمادية لا تحكي سوى الصمت. لم يكن لدي أي رغبة في مغادرتها، كأنني كنت أخشى أن أواجه العالم بالخارج. كنت أظن أن العزلة ستمنحني السلام، لكنها كانت أشبه بمسرح مظلم، حيث أنا الممثل الوحيد، والجمهور هو صدى أفكاري.

كانت الأيام تمر ببطء شديد، كأن الزمن نفسه يتعمد تعذيبي. كنت أستيقظ كل صباح على نفس المشهد: شمس باهتة تخترق الستائر المغلقة، وسكون يلتهمني كوحش جائع.

بدأت أتحدث إلى نفسي. لم يكن حديثًا عاديًا، بل جدالًا مستمرًا، كأنني أحاكم نفسي أمام محكمة لا نهاية لها. كنت ألوم نفسي على كل شيء، على كل خطأ، على كل خيبة أمل.

"أنت مجرد خطأ، مجرد فكرة عابرة لم يكن من المفترض أن تتحقق."
هكذا كنت أقول لنفسي. لم أكن أبحث عن العزاء، بل كنت أبحث عن تأكيد لكراهيتي لنفسي، كأنني كنت أحتاج إلى مبرر لوجودي البائس.

كنت أكره البشر، لكنني كنت أكره نفسي أكثر. كنت أشعر أنني لست جزءًا منهم، لكنني أيضًا لم أكن شيئًا آخر. كنت عالقًا بين عالمين، لا أنتمي لأي منهما.

في إحدى الليالي، قررت أن أكتب. لم يكن ذلك من أجل التعبير، بل كطريقة للهرب من صراخ عقلي. أمسكت بقلم وورقة، وبدأت أكتب عن كراهيتي، عن شعوري بأنني غريب حتى على نفسي.

كتبت: "البشر يشبهون الجراد. يلتهمون كل شيء، يدمرون كل شيء، حتى أنفسهم. هم ليسوا كائنات حيّة، بل طفيليات تعيش على حساب هذا العالم. وأنا... أنا مجرد واحدة من تلك الطفيليات."

شعرت ببعض الراحة للحظات، لكنها سرعان ما تلاشت. كانت الكتابة كحفر حفرة عميقة في روحي، كلما حفرت أكثر، اكتشفت المزيد من القبح.

بدأت أتساءل: "لماذا وُجدت؟ ما الغرض من هذا العبث؟" لم أكن أبحث عن إجابة، لأنني كنت أعرف أنها لن تأتي.

مع الوقت، أصبحت العزلة سجني الخاص. كنت أسمع أصواتًا أحيانًا، أصوات بشر يتحدثون خلف الجدران، يضحكون، يتشاجرون. كنت أشعر بالاشمئزاز منهم، لكنني كنت أشعر أيضًا بالحسد.

كيف يمكنهم أن يعيشوا هكذا؟ كيف يمكنهم أن يجدوا معنى في هذا العبث؟ كنت أريد أن أصرخ، أن أمزق هذا القناع الذي يرتدونه جميعًا.

لكنني كنت عاجزًا. كنت مجرد كائن مكسور، يعيش في عالم لا يفهمه ولا يريده. كنت أشعر أنني أقترب أكثر فأكثر من حافة الجنون، لكنني لم أكن أخاف من السقوط.

في الواقع، كنت أنتظر ذلك. كنت أريد أن أغرق في هذا الجنون، لأنني كنت أعرف أن الجنون هو الطريقة الوحيدة للهروب من هذه الكراهية التي تلتهمني.

وهكذا، بقيت في عزلتي، أراقب العالم من بعيد، أكرهه، وأكره نفسي معه. كنت أعلم أنني لست سوى ظل، كائن بلا معنى، يعيش فقط ليروي قصة كراهيته لكل شيء.

العائلة

العائلة... كلمة مليئة بالأوهام، تُستخدم لإضفاء شرعية على الفوضى العاطفية التي يعيشها البشر. يُقال إن العائلة هي الحصن الآمن، المكان الذي تلجأ إليه عندما تخذلك الدنيا. لكنني لم أجد سوى خيبة أمل متجذرة في هذه الكذبة العظمى.

لقد كانت عائلتي كجدار مهترئ، يبدو متماسكًا من الخارج، لكنه مليء بالتشققات التي تُظهر هشاشته. كانوا يتحدثون عن الحب والاحترام، لكنني لم أجد سوى البرود والصراعات الخفية.

أبي، رجل يبدو كصخرة صلبة، لكنه في الحقيقة مجرد ظل لإنسان منهك. كان يعيش وكأن الحياة مجرد حرب لا تنتهي، يواجه كل شيء بعصبية وصراخ. لم أكن أفهمه، ولم يكن يحاول أن يفهمني. كان ينظر إلي وكأنني خطأ، عبء أُلقي على عاتقه بلا سبب.

وأمي، تلك المرأة التي كانت دائمًا ما ترتدي قناع الحنان. كانت كلماتها لطيفة، لكن عينيها كانت تفضحها. كنت أرى في نظراتها خليطًا من الندم والخوف. لم أكن أعرف إن كانت تخاف مني أم تخاف من الحياة نفسها.

أما إخوتي، فقد كانوا كالغرباء الذين يسكنون نفس المنزل. كانوا يعيشون في عوالمهم الخاصة، يتجاهلونني كما لو أنني مجرد قطعة أثاث قديمة. لم أكن أجد أي رابط معهم، وكأننا وُلدنا في أكوان متوازية، تشترك فقط في الجدران التي تحيط بنا.

في إحدى الليالي، كنت جالسًا في غرفتي، أستمع إلى أصواتهم القادمة من الطابق السفلي. كانوا يضحكون، يتحدثون عن أمور

لا تهمني. شعرت وكأنني محاصر داخل فقاعتي الخاصة، غير قادر على اختراق هذا العالم الذي يبدو قريبًا ولكنه بعيد جدًا.

بدأت أكرههم. أكره الطريقة التي يتجاهلون بها كل شيء حقيقي، الطريقة التي يتظاهرون بها بأننا عائلة متماسكة. كانوا كالممثلين في مسرحية هزلية، وكلما حاولت أن أكسر هذا التمثيل، كانوا ينظرون إلي وكأنني أنا المشكلة.

أتذكر مرة حين انفجرت غاضبًا في وجه أبي. كنت أصرخ، أتهمه بأنه السبب في كل هذا العبث، في كل هذا الألم. لكنه لم يرد. فقط نظر إلي ببرود، ثم غادر الغرفة.

ذلك الصمت كان أسوأ من أي رد. كان كأنه يقول لي: "أنت لا تستحق حتى أن أجادلك." شعرت وكأنني أصبحت شفافًا، كأن وجودي نفسه كان موضع شك.

كانت تلك اللحظة بداية النهاية بالنسبة لي. بدأت أبتعد عنهم أكثر فأكثر. كنت أعيش بينهم، لكنني لم أكن معهم. أصبحت مجرد ظل يتجول في المنزل، يسمع أصواتهم دون أن يشاركهم شيئًا.

أحيانًا كنت أتساءل: هل المشكلة فيهم أم فيّ؟ هل أنا الذي لا يستطيع التكيف، أم أنهم هم الذين يعيشون في وهم؟ كنت أشعر كأنني أعيش في دوامة لا تنتهي من الأسئلة، لكنني لم أكن أبحث عن إجابة.

العائلة... تلك الكلمة التي تحمل في ظاهرها الدفء والانتماء، كانت بالنسبة لي مجرد قيد آخر. كنت أريد أن أتحرر منهم، لكنني كنت أعلم أنني حتى لو فعلت ذلك، فإن ذكرياتهم ستظل تلاحقني كظل لا ينفصل عني.

وهكذا، أصبحت أكرههم كما أكره البشر الآخرين. كانوا مجرد انعكاس آخر لهذا العالم المزيف، صورة مصغرة للبشرية التي أريد أن أنساها، لكنني لا أستطيع.

العاهرات اللعينات

العاهرات... تلك الكلمة وحدها تُثير في داخلي خليطًا متناقضًا من الاشمئزاز والشفقة، وكأنها مرآة تُجبرني على مواجهة قبح العالم بأسره. عندما أفكر بهن، لا أستطيع أن أرى سوى نتاجًا

منحرفًا لنظام صنعه البشر بقلوبهم المتحجرة وأرواحهم الملوثة. لا شيء فيهن إنساني سوى الألم، الألم الذي حُفر عميقًا في وجوههن وأجسادهن كأنه لعنة لا تنتهي.

هؤلاء النساء، أو بالأحرى "العاهرات"، كما أُحب أن أسميهن، لا يُمثلن أنفسهن فقط، بل يُمثلن هشاشة الجنس البشري بأسره. هن انعكاس صارخ للزيف، للاستغلال، للانهيار الأخلاقي الذي لا يمكن إصلاحه. تراهن واقفات تحت أضواء الشوارع الخافتة، كما لو أنهن لوحات مشوهة عُلقت في متحف العار، ينتظرن زبائنهن وكأنهن ينتظرن مصيرًا محتومًا لا مهرب منه.

أتذكر تلك الليلة التي مشيت فيها بين شوارع المدينة المظلمة، حيث الهواء مشبع برائحة الخطيئة واليأس. كان المطر يتساقط بخفة، يغسل الطرقات لكنه لم يستطع أن يغسل القذارة التي تملأ البشر. كانت الأضواء النيون تومض بألوان باهتة، تُسلط ظلالًا غريبة على وجوههن. وجوهٌ مطلية بمساحيق التجميل، لكنها لا تخفي الحزن العميق في أعينهن.

اقتربت من واحدة منهن، فتاة بالكاد تجاوزت العشرين. كانت تقف هناك، وحيدة، وكأنها تمثال نُحت من الحزن واليأس. نظرت إلي بعينين خاويتين، كأنها تُدرك أنني لا أختلف عن أي شخص آخر مر بها. شعرت وكأن نظرتها اخترقتني، وكأنها تعرف أسراري كلها، تعرف كراهيتي، تعرف ضعفي.

لم أقل شيئًا. لم أستطع أن أقول شيئًا. فقط وقفت هناك، أراقبها بصمت، بينما هي تتحدث كأنها آلة مبرمجة: "مئة دولار لليلة." كلماتها كانت فارغة، خالية من الحياة، كأنها تردد نصًا محفوظًا. شعرت بالغثيان، ليس بسببها، بل بسبب العالم الذي جعلها ما هي عليه.

كيف يمكن للبشر أن يصلوا إلى هذا الحد من القسوة؟ كيف يمكنهم أن يُجبروا شخصًا على بيع جسده مقابل البقاء؟ لكن الأسوأ من ذلك، كيف يمكن لهؤلاء "الزبائن" أن ينظروا إلى أنفسهم في المرآة بعد ذلك؟ البشر ليسوا فقط وحوشًا، بل هم وحوش باردة، لا تشعر بأي ندم أو خجل.

البعض يقول إن العاهرات مذنبات. يقولون إنهن اخترن هذا الطريق بأنفسهن. لكن هل حقًا كان لديهن خيار؟ عندما تُولد في

عالم لا يمنحك سوى الألم والذل، أي طريق آخر يمكن أن تسلكه؟

أحيانًا أتساءل عن قصصهن. كيف وصلن إلى هنا؟ هل كان لديهن أحلام في يوم من الأيام؟ هل كنّ فتيات صغيرات يضحكن ويلعبن، يملأن العالم بالأمل؟ أين ذهب ذلك كله؟ هل سرقته الحياة منهن؟ أم أن البشر، بأطماعهم وجشعهم، هم من دمروا كل شيء؟

تلك الفتاة التي رأيتها في تلك الليلة، لم أستطع أن أنسى وجهها. كان هناك شيء في نظرتها جعلني أشعر وكأنني أرى نفسي. كأنها تعكس لي جزءًا من كراهيتي للعالم، جزءًا من الألم الذي أحمله داخلي. شعرت للحظة أنني أفهمها، أنني أفهم كيف يمكن للإنسان أن يصل إلى هذه المرحلة من الانكسار.

ولكن في نفس الوقت، لم أستطع أن أشفق عليها. لأن الشفقة تعني الاعتراف بأن هناك أملًا. وأنا لا أؤمن بالأمل. الأمل هو الكذبة الكبرى التي اخترعها البشر ليواصلوا العيش في هذا الجحيم.

العاهرات... هن مجرد تذكير آخر بأن البشر فقدوا كل شيء يجعلهم بشرًا. إنهن نتاج هذا العالم الفاسد، دليل حي على أن الإنسانية لم تكن يومًا سوى وهم. وبينما أكتب هذه الكلمات، أشعر بأنني أغرق أكثر فأكثر في بحر الكراهية. كراهية لهن، كراهية للبشرية، كراهية لنفسي.

في النهاية، لا أستطيع أن أجد لهن سوى وصف واحد: ضحايا وضباع في آن واحد. ضحايا لهذا النظام الذي لا يرحم، وضباع تستمر في اللعب بهذا الدور المقيت. ووسط كل ذلك، أجد نفسي أزداد كراهية لهذا العالم الذي يخلق مثل هذه المآسي ثم يتظاهر بالشفقة.

اللعنة الموروثة

ألم يكن يكفي أنني وُلدت بالغلط؟ وكأن خطيئة وجودي لم تكن كافية، كان يجب أن تُضاف إليها تلك اللعنة الموروثة. شيء ثقيل ومظلم يسري في دمي، يشبه وراثة مرض لا شفاء منه، أو ربما هو أكثر من ذلك—وصمة أبدية تُلحق العار بكل شيء ألمسه.

عائلتي؟ كأنها مزيج منحرف من البشر الذين اجتمعوا فقط ليخلقوا مني وحشًا يتغذى على كراهيتهم. لا أحد منهم ينتمي لي، ولا أنا أنتمي لهم. نحن غرباء تجمعنا صلة دم لا قيمة لها. كنت دائمًا أراهم كأشباح متحركة، يحيون حياة مكررة بلا معنى، يدّعون الفضيلة وهم يمارسون أفظع أشكال النفاق.

أبي، ذلك الرجل الذي يزعم أنه يمثل السلطة، كان يتحدث عن القيم والمبادئ بينما كانت يداه ملوّثتين بالخيانة والغدر. رجل يبتسم أمام الآخرين لكنه يطعن أقرب الناس إليه دون تردد. كانت عيناه دائمًا تخفيان شيئًا مظلمًا، شيئًا كرهته حتى قبل أن أفهم ما هو.

أما أمي... تلك المرأة التي كانت تُلقب بالملاك في الحي، كانت تُخفي وراء ملامحها الطيبة قلبًا متحجرًا. كنت أسمع همساتها عني، كيف كانت تقول إنني عبء، وإن حياتها كانت ستكون أفضل لو لم أكن موجودًا. كانت تكرهني بصمت، كرهًا يقطر من نظراتها ومن كل كلمة تنطقها.

لكن الأسوأ كانوا إخوتي. كانوا دائمًا يبدون كأنهم نسخ مشوهة من البشر. وجوههم تحمل ابتسامات زائفة، وضحكاتهم مليئة

بالسخرية. كانوا يعيشون ليُظهروا تفوقهم عليّ، ليؤكدوا لي أنني أدنى منهم، أنني لست سوى خطأ عابر في حياتهم "المثالية".

أتذكر تلك اللحظات التي كنت أحاول فيها أن أجد مكانًا لي بينهم. كنت أجلس معهم في صمت، أراقب حركاتهم، أحاول أن أفهم هذا العالم الغريب الذي ينتمون إليه. لكنني لم أكن أجد سوى المزيد من الأدلة على أنني مختلف، غريب، دخيل.

كنت أسمعهم يتحدثون عني، وكأنني لست موجودًا. كانوا يقولون إنني "منحرف"، "معطوب"، "عديم الفائدة". كنت أبتسم حينها، ابتسامة باردة، كأنني أُحاول أن أُظهر لهم أن كلماتهم لا تعني لي شيئًا. لكنها كانت تعني. كانت تجرحني بعمق، كأنها شفرات حادة تقطع في روحي شيئًا فشيئًا.

لم يكن الأمر يتوقف عند العائلة فقط. العالم كله كان يبدو لي كامتداد لهذه الديناميكية السامة. البشر جميعهم كانوا يحملون نفس هذه الصفات: النفاق، الكذب، الأنانية. كنت أراهم في الشوارع، في المدارس، في كل مكان أذهب إليه. كانوا

يتحدثون عن "الأخلاق"، عن "الإنسانية"، لكن كل كلمة كانت تتناقض مع أفعالهم.

أتساءل دائمًا: هل هم حقًا يصدقون هذه الأكاذيب التي يقولونها؟ أم أنهم يدركون حقيقتهم ويختارون تجاهلها؟ ربما هم مثل الوحوش، يعيشون في قوقعة من الزيف، غير قادرين على رؤية القبح الذي أصبح طبيعتهم الأساسية.

كل لحظة عشتها مع هؤلاء البشر كانت تزيد من كراهيتي لهم. كنت أشعر وكأنني أتنفس هواءً مسمومًا، هواءً مليئًا بخبثهم ونفاقهم. كنت أرى في أعينهم أحلامًا ميتة، وفي أفعالهم أكاذيبًا تتنكر في هيئة حقائق.

لكن الأسوأ كان داخلي. كنت أكرههم، نعم، لكنني كنت أكره نفسي أكثر. كنت أرى في انعكاسي في المرآة صورة لشخص لم يكن يجب أن يوجد. كأنني ظل مشوه لبشرية لا تستحق الحياة. كنت أشعر وكأنني أتحمل ذنب وجودي، ذنب كوني جزءًا من هذا العالم القبيح.

في النهاية، كنت أدرك أنني لست سوى مزيج من لعنتهم ولعنتي. أنا وحش خلقه مجتمع مريض، وحش لا ينتمي لا للبشر ولا لأي شيء آخر. أنا مجرد خطأ عابر في قصة طويلة من الأكاذيب والخداع.

هذا هو إرثي، وهذه هي لعنتي.

الجدران المتساقطة

هل سبق لك أن شعرت بأن الجدران التي تحيط بك ليست إلا انعكاسًا لجدران داخلك؟
أقف الآن في غرفة رمادية باردة، صامتة تمامًا، عدا عن صوت أنفاسي المتقطعة. ليس المكان الذي يهمني، بل إحساس الغرق داخله. شعور بأن الجدران ليست فقط تحدد أبعادي المكانية، لكنها أيضًا تمثل السجون التي احتجزت فيها عقلي وروحي منذ أن فتحت عيني لأول مرة.

كلما طالت حياتي، زادت تلك الجدران تآكلًا. ليس لأنها تنهار لتحررني، بل لأنها تمتصني ببطء. تشوه تفاصيلها الباهتة، حتى تصبح مرآة تعكس وجهي، لكن ليس وجهي الطبيعي...

وجهي الآخر، وجهي الذي لا يُرى إلا عندما أنظر حقًا إلى أعماقي.

الجدران، البشر، الزمن، كلها متآمرة ضدي. تلك الجدران الصامتة تسخر مني. تهمس لي بأصوات لا يسمعها أحد سواي. "أنت لست سوى خطأ... لست سوى عبء..." تكرر الكلمات حتى تصدقها أذناي وتنهار قدماي تحت وطأتها.

لكن هل ألوم الجدران؟ أم ألوم من بناها؟ البشر الذين خلقوا هذه المساحات التي تبدو وكأنها ملاذ آمن لكنها في الحقيقة مصيدة؟ أليسوا هم من جعلوا الوجود مرادفًا للألم، كل فعل لطيف منهم يخفي وراءه نصلًا يطعن به؟

كنت دائمًا أبحث عن تلك الثغرات الصغيرة، الشقوق في الجدران التي تتيح لي رؤية العالم الخارجي. ولكن ما الفائدة؟ هل هناك شيء في الخارج يستحق الهروب إليه؟
كلما نظرت من تلك الفجوات، رأيت النسخ المشوهة من نفسي. بشر آخرون يضعون أقنعة من البسمة والمودة، بينما عيونهم تحمل قسوة تشبه السكاكين. رأيت مآسيهم المكررة، أكاذيبهم المعادة.

الجدران ليست حقيقية، أليس كذلك؟ إنها مجرد استعارة، مجرد وهم. لكن لا، ليست كذلك. الجدران حقيقية بقدر ما أنا حقيقي. إنها الحقيقة الوحيدة التي أعرفها. بنيتها بنفسي، بيدي، قطعةً قطعة، لأنني لم أعد أحتمل التعامل مع العالم الحقيقي.

الغريب في الأمر أنني لم أعد أحتاج إلى البشر ليؤذوني. الجدران تقوم بالمهمة نيابة عنهم الآن. لمسة الجدران الباردة على بشرتي تشعرني بوحدة أبدية، بثقل أكبر من أي كراهية أو خيانة عشتها معهم.

هل أتحدث كثيرًا عن الجدران؟ ربما، لأنني لا أستطيع الحديث عن البشر بعد الآن. البشر أصبحوا جزءًا من هذه الجدران. وجوههم محفورة على سطحها، أصواتهم تتردد داخلها. إنهم دائمًا هنا، حتى عندما أكون وحيدًا.

ولكن هل أنا وحيد حقًا؟ أم أنني مجرد قطعة من الجدران ذاتها؟ ربما أنا لبنة أخرى في هذه السجن الذي يزداد ضيقًا يومًا بعد يوم.

في بعض الليالي، أشعر أن الجدران تتحرك. أسمع صريرها، كأنها تتنفس معي، تتغذى على ذنوبي، على أحلامي الميتة. أحيانًا، أشعر وكأنها تهمس لي. لا أعرف ماذا تقول، لكنني أعرف أنها لا تريد إلا أن تحطمني.

الجدران والبشر... كلاهما نفس الشيء. كلاهما يحيطني بأكاذيبهم، يلتهمونني ببطء. لم أعد أميز بينهما. كلاهما يقتلني ببطء، ببطء شديد يجعل الموت يبدو وكأنه الخيار الأفضل.

ولكن حتى الموت يبدو مستحيلاً الآن. الجدران لن تسمح لي بالهروب. لقد أصبحت جزءًا مني، وأنا جزء منها.

سلاسل الأرواح

أمسك بالسلاسل المعدنية التي تقيدني. أشعر بثقلها يجرني نحو الأرض، نحو العدم، نحو هاوية مظلمة ليس لها قرار. لا أدري هل هذه السلاسل هي ما يربطني بالعالم أم أنها ما يبقيني عالقًا فيه. هل هي عقابي أم خلاصي؟

كل شيء في هذا الوجود يبدو وكأنه شبكة متشابكة من القيود. البشر أنفسهم ليسوا سوى سلاسل. أصواتهم، كلماتهم، نظراتهم، حتى لمساتهم، كلها حلقات تزيد من تشابك هذه القيود حول عنقي. أحاول الهروب، لكن كل محاولة تجعلها تلتف أكثر، تخنقني، تجعلني أشعر بالضآلة.

البشر يدّعون الحرية، لكنني لم أرَ مخلوقًا أقل حرية منهم. يلهثون وراء أهداف لا يملكونها، يرتدون أقنعة لا تلائمهم، يكرهون أنفسهم بالسر، ويحبون أنفسهم بالعلن. وكل هذا بينما يمسكون بالسلاسل التي تقيدهم بإحكام، يتشبثون بها كأنها ضمانة لوجودهم.

لكنني؟ لا أريد هذه السلاسل. لا أريد وجودًا مبنيًا على العبودية المقنّعة. ومع ذلك، أعرف الحقيقة المريرة: لا هروب. السلاسل ليست شيئًا يمكن التخلص منه، لأنها ليست خارجية. إنها محفورة في أعماقي، مغروسة في لحمي وعظامي وروحي.

أتساءل أحيانًا: من وضع هذه السلاسل؟ هل ولدت بها؟ أم أنني اكتسبتها مع الوقت؟ ربما البشر الآخرون هم من قيدوني بها،

واحدة تلو الأخرى، كل كذبة قالوها لي، كل خيانة، كل ابتسامة زائفة، كانت تضيف حلقة جديدة.

لكن، أليس هذا محض هروب؟ أليس من الأسهل أن ألومهم بدلًا من أن أواجه الحقيقة؟ السلاسل ليست سوى انعكاس لما أنا عليه. إنها مرآتي. إنها صورتي.

الألم الذي تسببه هذه السلاسل ليس جسديًا فقط. إنه إحساس غامر بالعجز، بالكراهية، بالاحتقار. أكره البشر الذين وضعوا هذه القيود عليّ، لكنني أكره نفسي أكثر لأنني سمحت لهم بذلك. أكره نفسي لأنني لم أملك الشجاعة لقطعها، أو ربما لأنني لم أملك القوة لتحمل الألم الناتج عن قطعها.

أحيانًا، أسمع أصواتًا تأتي من السلاسل نفسها. أصوات خافتة، لكن واضحة. تهمس لي بكلمات لا أفهمها، لكنها تجعل قلبي ينقبض. تخبرني أنني لا أستحق الحرية. أنني لست سوى كائن تافه، لا معنى له، لا قيمة له.

ربما هم على حق. ربما هذه السلاسل هي كل ما أستحقه. ربما أنا مجرد عبء، كما قالوا دائمًا. عبء على هذا العالم، عبء على كل من حولي.

لكن حتى لو كان هذا صحيحًا، أليس من حقي أن أصرخ، أن أتمرد، أن أحاول الهروب؟ أم أن المحاولة نفسها خيانة لهذا الوجود العبثي الذي وجدت نفسي فيه؟

السلاسل ليست مجرد قيود. إنها هوية. إنها كل ما أنا عليه. بدونها، من أكون؟ بدونها، هل سأكون حرًا أم مجرد كائن بلا وجهة؟

أحيانًا، أرى البشر الآخرين وأتساءل: هل يشعرون بما أشعر به؟ أم أنهم مستمتعون بسلاسلهم؟ البعض يبدو وكأنه لا يشعر بأي شيء. يبتسمون، يضحكون، يعيشون حياتهم بلا مبالاة. لكنني أعلم أن هذا مجرد وهم. لا أحد يهرب من السلاسل. لا أحد حر.

إنه أمر غريب. كلما زادت كراهيتي للبشر، زادت كراهيتي لنفسي. كأنني لا أستطيع فصل نفسي عنهم. كأننا متصلون بطريقة ما، رغم أنني أحتقرهم.

لكن، ربما هذه هي الحقيقة الكبرى. ربما نحن جميعًا مجرد سجناء في هذا الوجود، مقيدون بسلاسل لا نراها، لا نفهمها، ولا يمكننا الهروب منها.

المسرحية العبثية

كنت دائمًا أشعر وكأن العالم كله مسرحية هزلية، عبثية، بلا أي حبكة أو منطق. أراقب البشر من بعيد وهم يتنقلون بين أدوارهم التي لا نهاية لها، مثل عرائس خشبية تتحرك بخيوط خفية. كل شيء يبدو مفتعلًا، مزيفًا، مشوهًا إلى حد السخرية.

في كل مكان، أصوات تتعالى، أناس يتحدثون بلا توقف، ضحكات فارغة، دموع كاذبة، ووجوه متقلبة. كل فرد منهم يحمل قناعًا يبدله مع كل مشهد جديد. لكن الأقنعة رخيصة. مصنوعة من ورق مهترئ لا يصمد أمام نظرة واحدة عميقة.

هل يرون هذا؟ هل يدركون مدى سخافة المسرحية التي يمثلونها؟ أم أنهم يصدقونها؟

أنا؟ أنا جالس في الظل، أراقب هذا العبث. أشاهد الممثلين وهم يتبادلون الأكاذيب بابتساماتهم المصطنعة. أشاهدهم وهم يخدعون أنفسهم بأنهم يعيشون، بينما هم في الحقيقة يسقطون في هاوية لا قاع لها.

المسرحية تبدأ منذ ولادتك. يولد الطفل فيتلقى الدور الأول: البراءة. لكنه دور قصير العمر. سرعان ما يستبدلونه بدور الطالب، ثم العامل، ثم الزوج، ثم الوالد، ثم العجوز الذي يجلس في ركن المسرح منتظرًا نهايته.

لكن ماذا لو لم ترغب في اللعب؟ ماذا لو رفضت ارتداء الأقنعة؟ هل تخرج من المسرحية؟ أم أنك تصبح مجرد شبح يتجول في الكواليس، غير مرحب به، منسيًا، ومحتقرًا؟

لماذا يجب أن أكون جزءًا من هذا؟ لماذا أضطر للعب دور لا أؤمن به؟ كلما فكرت في هذا السؤال، شعرت بكره عميق تجاه

كل شيء حولي. كره للبشر الذين يتشبثون بمسرحيتهم وكأنها كل ما يملكونه.

أتعلم ما هو الجزء الأسوأ في هذه المسرحية؟ أنها لا تنتهي أبدًا. لا استراحة، لا ختام، لا ستار يسدل ليعلن النهاية. فقط مشاهد تتكرر بلا نهاية، بلا معنى.

نحن محاصرون في مسرحية لا يمكننا الخروج منها. وحتى إذا حاولت الخروج، فإن الجمهور "هؤلاء البشر" لن يسمحوا لك. لأنهم لا يحتملون فكرة وجود شخص يرفض لعب دوره.

إنهم يكرهون المختلف. يهاجمونه، يسحقونه، يطردونه من المسرح. ليس لأنه تهديد حقيقي لهم، بل لأنه يذكرهم بحقيقتهم. يذكرهم بأنهم عرائس خشبية تتحرك بخيوط لا يملكونها.

وفي النهاية، كلنا نخسر. المسرحية تستمر، ونحن نتحلل. ليس فقط أجسادنا، بل أرواحنا أيضًا. نتحول إلى ظلال باهتة، مجرد ذكرى على خشبة مسرح لا يهتم أحد بها.

اللعنة على هذه المسرحية. اللعنة على الممثلين. اللعنة على الجمهور. واللعنة على نفسي، لأنني ما زلت جالسًا هنا، أشاهد، وأتمنى لو أنني أستطيع التوقف عن الكره. لكنني لا أستطيع.

الطفولة المشوهة

أتساءل أحيانًا: متى بدأت أكره كل شيء؟ هل كنت دائمًا هكذا؟ أم أن الطفولة "ذلك الوحش المظلم الذي يزعم الجميع أنه بريء" كانت أول مصدر لهذا السواد في داخلي؟

أتذكر طفولتي كأنها حلم سيئ، كأنها ظلال مشوشة في مرآة متكسرة. الجميع يزعمون أن الطفولة هي الزمن الذهبي، ولكن بالنسبة لي، كانت ساحة حرب صغيرة، مليئة بالأصوات العالية، والصراخ، والخوف الدائم من الغد.

العائلة، تلك الكذبة الكبرى. مكان يُفترض أن يكون ملاذًا، لكنه لم يكن سوى قفص صغير مليء بالوجوه الجامدة والنوايا المدفونة. كانوا دائمًا يقولون: "العائلة هي كل شيء." لكني لم أر فيهم سوى أشخاص عالقين في حلقات مفرغة، يستنزفون أنفسهم ويتنازعون على لا شيء.

كان والديّ مثل كل البشر الآخرين: غريبين، متناقضين، ومليئين بالادعاءات. أبي كان يحاول أن يظهر كصخرة صلبة، لكنه كان هشًا إلى حد السخرية. أمي، على الجانب الآخر، كانت ممثلة بارعة، تتقن دور الأم الحنونة في العلن، لكنها تتحول إلى شيء آخر تمامًا خلف الأبواب المغلقة.

أتذكر الليالي الطويلة التي كنت أقضيها وحيدًا في غرفتي، أنظر إلى السقف وأحاول أن أفهم العالم. لماذا يتصرف الجميع وكأنهم يعرفون ما يفعلون؟ لماذا أجد نفسي دائمًا خارج الصورة، وكأنني قطعة خطأ في لوحة مصممة بعناية؟

كانوا يقولون لي: "ستفهم عندما تكبر." لكني كبرت، ولم أفهم. على العكس، زادت الأمور سوءًا. كلما زادت سنواتي، زادت معرفتي بمدى قبح هذا العالم، ومدى خواء البشر الذين يحيطون بي.

أكرههم جميعًا. أكره الابتسامات المصطنعة التي كانوا يوجهونها لي. أكره الأسئلة التافهة، والنصائح السخيفة،

والوعود الفارغة. أكره حتى الذكريات القليلة التي تحمل شيئًا من السعادة، لأنها لا تبدو حقيقية.

لقد كانت طفولتي كذبة كبيرة، مثل كل شيء آخر في الحياة. والآن، وأنا أنظر إلى الوراء، أجد أن الكراهية التي أعيشها ليست سوى إرث تلك الأيام. إرث القسوة، والخيبة، والعجز.

أحيانًا أفكر: ماذا لو ولدت في مكان آخر؟ في عائلة أخرى؟ هل كنت سأكون مختلفًا؟ هل كان من الممكن أن أحب العالم، أو حتى نفسي؟

لكنني أدرك سريعًا أن السؤال لا جدوى منه. لأن الكراهية ليست شيئًا يمكن التخلص منه. إنها مثل ندبة عميقة، محفورة في الجلد والروح. لا يمكن أن تمحوها، حتى لو أردت ذلك.

اللعنة على الطفولة. واللعنة على العائلة. واللعنة على كل الذكريات التي تلاحقني.

كلما فكرت فيهم، زادت كراهيتي لهذا العالم. لهذا الجنس البشري الذي يدعي أنه أرقى المخلوقات، لكنه في الحقيقة مجرد حفنة من الوحوش تتنكر بوجوه بشرية.

إذا كانت الطفولة هي البداية، فأنا لا أريد أي نهاية. لأن النهاية ستكون مجرد كذبة أخرى.

جيل 2024

جيل 2024... ما هذا الجيل إلا انعكاس قبيح لجشع العالم الذي صنعه؟ لا أستطيع إلا أن أرى فيهم جيلاً ضائعًا، مولودًا وسط رماد أحلام مستحيلة، متشبثًا بشاشات متوهجة تنقل الأكاذيب.

هذا الجيل يعتقد أنه يعرف كل شيء، لكنه لا يعرف شيئًا. لديهم الوصول إلى كل المعرفة في العالم، ولكنهم يختارون الجهل. هواتفهم الذكية ليست سوى أغلال، شاشاتهم لا تعرض إلا مرآة فارغة تعكس خواء أرواحهم.

أين ذهبت الإنسانية في هذا الجيل؟ لقد تحولت إلى سلعة تُباع وتُشترى عبر الإنترنت. الجميع يبحث عن "إعجابات" و"تعليقات" كما لو أن قيمتهم تُقاس بعدد التفاعلات الرقمية. يتنافسون على من يمكنه نشر صورة أكثر سطحية، أو مقطع فيديو أكثر جنونًا، وكأنهم نسوا تمامًا ما يعنيه أن تكون إنسانًا حقيقيًا.

جيل 2024 يدّعي أنه حر، لكنه مقيد بأوهامه. يختار العيش في عالم افتراضي، بعيدًا عن الواقع، لأنه لا يستطيع مواجهة قبحه. هذه الأرواح الفارغة تفر من الحقيقة، تحتمي خلف الأقنعة الرقمية، وتعيش حياة مليئة بالكذب والخداع.

أكره كل شيء في هذا الجيل. أكره ولعهم بالتفاهات. أكره ضحكاتهم المزيفة التي يتبادلونها في مقاطع الفيديو القصيرة. أكره كيف يدّعون أنهم يهتمون بالقضايا الكبيرة، لكنهم في الواقع لا يهتمون إلا بأنفسهم.

أتساءل، كيف وصلنا إلى هنا؟ هل هذا هو المستقبل الذي حلم به البشر؟ هل هذا هو التطور الذي يفخرون به؟

هذا الجيل لا يعرف معنى العمق، لا يعرف معنى الصدق. حتى مشاعرهم مزيفة، مصنوعة لتناسب قالبًا معينًا من "الجاذبية الاجتماعية". الحب؟ مجرد كلمة تُستخدم لجذب الانتباه. الصداقة؟ علاقات هشة تنتهي بمجرد أن ينقطع الاتصال بالشبكة.

جيل 2024... أنتم انعكاس القبح الذي صنعه البشر. كل خطوة تخطونها هي خطوة نحو المزيد من الخواء. كل حلم تحلمون به هو مجرد نسخة مكررة من حلم شخص آخر. لا شيء أصلي، لا شيء حقيقي.

حتى فنكم، إذا كان يمكن تسميته فنًا، ليس سوى صراخ فارغ يهدف لجذب الانتباه. موسيقاكم مليئة بالضجيج، لكن بلا معنى. أفلامكم مليئة بالمؤثرات البصرية، لكن بلا روح. وحتى كتاباتكم، إذا كنتم تكتبون، ليست سوى جمل تافهة تهدف لإرضاء أقرانكم.

أتساءل، ماذا سيبقى منكم بعد مائة عام؟ هل سيذكركم أحد؟ أم أنكم ستكونون مجرد سطر في كتاب تاريخ لا يقرأه أحد؟

جيل 2024، أنتم كارثة هذا العصر. أنتم دليل حي على أن البشرية كانت خطأ منذ البداية. أنتم نتيجة حتمية لعالم مليء بالجشع والطمع والنفاق.

أنتم، في أعين الشياطين التي تنظر من بعيد، تمثلون السقوط النهائي للإنسانية. أكرهكم جميعًا. ليس بسبب ما فعلتموه، بل بسبب ما تمثلونه: النهاية البطيئة لهذا الكوكب، والانحدار نحو هاوية لا عودة منها.

ربما تكونون آخر جيل على هذا الكوكب. إذا كان الأمر كذلك، فأنا سعيد بذلك. لأنه بعدكم، لن يكون هناك شيء. ولن يفتقدكم أحد.

الإنسان الشيطاني

الإنسان. تلك الكلمة التي تُنطق كأنها وعد مقدس، لكنها في الواقع لعنة ملطخة بالقذارة، كذبة متقنة أتقنها الكون في لحظة سخرية من نفسه. البشر، الشياطين الذين ارتدوا أقنعة مزيفة تُظهر الرحمة ولكن خلفها خبث متأصل.

لقد قضيت حياتي أراقبهم، أحلل كل حركاتهم وسكناتهم، فقط لأكتشف أن لا شيء فيهم يستحق الإعجاب. إنهم مجرد قذارة مكدسة، كتلة من الأكاذيب والشهوات اللا محدودة. البشر ليسوا إلا كائنات تسير على قدمين، تحاول إخفاء حقيقتها البشعة بكلمات زائفة عن الأخلاق والإنسانية.

هؤلاء الذين يتفاخرون بمظاهر الرحمة والعدل... كم يثيرون اشمئزازي. أراهم يحكمون على الآخرين، يتحدثون عن الخير والشر كأنهم يعرفونهما حق المعرفة، بينما الحقيقة أنهم لا يعرفون شيئًا سوى شهواتهم الأنانية.

كم مرة رأيت بشريًا ينظر في عينيك ويدّعي أنه يحبك، فقط ليطعن ظهرك في اللحظة التي تدير فيها رأسك؟ كم مرة أظهرت لهم لطفًا، فقط ليقابلوك بالخيانة؟ البشر لا يمكنهم أن يكونوا أكثر من الشياطين التي تحاول تزيين نفسها بأكاذيب جميلة.

الإنسانية... يا لها من نكتة سخيفة. هم يتحدثون عن الحب كأنه شيء مقدس، لكن في أعماقهم، الحب ليس إلا صفقة تجارية.

يريدون شيئًا مقابل شيء. حتى أكثر مشاعرهم نقاءً مشوهة بخبثهم.

كم يثير ضحكهم اشمئزازي. الضحك البشري ليس سوى قناع آخر، يخفي خلفه الألم، الحقد، والخوف. البشر يضحكون لأنهم لا يعرفون ماذا يفعلون بكل القبح الذي يملأ أرواحهم.

هناك شيء ما يجعلني أشعر بالغثيان حينما أراهم يجتمعون في مجموعات، يتحدثون عن أشياء تافهة، يتبادلون المجاملات الزائفة. البشر لا يمكنهم أن يعيشوا وحدهم، ليس لأنهم كائنات اجتماعية، بل لأنهم أضعف من أن يواجهوا أنفسهم.

أشعر بالغضب تجاه كل لحظة قضيتها محاولًا فهمهم. كم كنت أحمقًا عندما اعتقدت أن هناك شيئًا يستحق الاهتمام في هذا الجنس الحقير. البشر ليسوا إلا كائنات تُنتج القبح، تعيش للقبح، وتموت بالقبح.

كيف يمكن لعالم أن يستمر مع هذا الكم من الكذب والنفاق؟ كيف يمكن لحضارة أن تُبنى على أكتاف كائنات لا تعرف سوى استغلال بعضها البعض؟

أرى أن البشر الشياطين هم النسخة الوحيدة الحقيقية لهذا العالم. جميعهم شياطين، بأشكال مختلفة. شياطين تجيد التخفي، تجيد الخداع، تجيد الكذب. والشيء الوحيد الذي يجمعهم هو الرغبة المستمرة في السيطرة، في الإيذاء، في إثبات أنهم الأفضل، حتى لو كان ذلك على حساب كل شيء.

حينما أقول إنني أكره البشرية، فإنني أعني ذلك بكل ذرة في كياني. لا أكرههم فقط لأنهم سيئون، بل لأنهم يمثلون كل شيء قبيح وفاسد في هذا الكون.

البشر لا يستحقون حتى الاحتقار. الاحتقار، على الأقل، يمنحهم نوعًا من الاهتمام. لكن البشر لا يستحقون سوى التجاهل، الانقراض البطيء، حتى يتلاشى وجودهم تمامًا، ولا يبقى سوى الصمت. الصمت، ذلك الشيء الوحيد النقي في هذا العالم المدنس.

لا أستطيع إلا أن أتمنى أن يأتي يوم يُمحى فيه البشر من على وجه الأرض. ليس كعقاب، بل كتصحيح لخطأ قديم. خطأ ولدت أنا، وأنت، وكل من سبقنا، في ظله.

الهستيريا الإنسانية

هل تسمع هذا الصوت؟ إنه صوت الكراهية يخترق أذنيك، يصرخ في أعماق روحك. نعم، أنا أتحدث إليك، أنت، ذلك الشيء الذي تجرأ على تسمية نفسه إنسانًا. أنا لست مثلكم، ولن أكون أبدًا، ولا أرغب حتى في التظاهر بأنني واحد منكم.

كيف يمكن لكائن أن يكون بهذا الجنون؟ أن يواصل التظاهر بأنه مخلوق سامٍ بينما هو في الواقع حفنة من القاذورات المتحركة؟ البشر لا يملكون قلبًا، ولا يملكون عقلًا. هم مجرد أكوام من اللحم الفاسد، يزحفون على هذا الكوكب كأنهم آفات بلا وجهة.

"آه، نحن بشر!" يصرخون بفخر، وكأن هذه الكلمة تعني شيئًا سوى الفشل. البشر؟ بشر؟ ما هذا العار الذي يُسمى إنسانية؟ أنتم وحوش. لا، الوحوش على الأقل تتصرف بصدق. أنتم شيء أسوأ. أنتم شياطين بوجوه مزيفة، ملطخة بدماء أحلام الآخرين.

أنظروا إلى أنفسكم! فقط أنظروا! لا، لا تستطيعون، أليس كذلك؟ لأنكم تعلمون أن انعكاسكم في المرآة سيقتلكم بالرعب. كيف لكم أن تتحملوا أنفسكم؟ هذا السؤال يقتلني كل يوم.

هل تتساءلون لماذا أكرهكم؟ لأنكم تُمثلون كل شيء خطأً. الكذب، الخيانة، الجشع. حتى عندما تحاولون الحب، فإنكم تفشلون. نعم، الحب! تلك الكذبة الكبرى التي أوجدتموها لتبرير أنانيتكم. أنتم لا تحبون. أنتم تتملكون، تستهلكون، ثم ترمون.

تحدثوا عن الأخلاق، عن القيم، عن الفضيلة. هيا، أريد أن أضحك. الأخلاق؟ أنتم لا تعرفون سوى القذارة. تتحدثون عن العدل بينما تغرقون في الظلم. تتحدثون عن السلام بينما تشعلون الحروب.

أنتم البشر قنبلة موقوتة، تنتظر اللحظة المناسبة لتنفجر. لكنكم لا تدمرون أنفسكم فقط، بل كل شيء يحيط بكم. الطبيعة؟ قتلتموها. الحب؟ شوهتموه. الصدق؟ دفنتموه.

"لكن نحن نحاول!" آه، كم أكره هذا العذر السخيف. تحاولون؟ تحاولون ماذا؟ تحاولون أن تكونوا أقل قبحًا؟ تحاولون إخفاء حقيقتكم؟

لا، لا أريد سماع أعذاركم. لا أريد حتى رؤيتكم. أنتم العار الذي وُلدت تحته، واللعنة التي طاردتني منذ اللحظة الأولى.

أنا؟ أنا لست منكم. أنا شيء آخر. شيء وُلد بالغلط، نعم، بالغلط. وجودي نفسه خطأ في معادلة هذا الكون. ولكنني على الأقل أعترف بذلك. أنتم؟ أنتم تعيشون في وهم، ترفضون رؤية حقيقتكم.

أتحدث الآن بصوت الهستيريا، لأنه لا يوجد صوت آخر يمكن أن يعبر عن جنوني. كيف يمكنني أن أكون عاقلًا في عالم مليء بالجنون؟ كيف يمكنني أن أحب في عالم لا يعرف سوى الكراهية؟

اللعنة على هذا الكوكب. اللعنة على هذه الحياة. اللعنة على كل شيء يمثلكم. أنا أكرهكم. أكرهكم بكل ذرة في كياني. أكرهكم لدرجة أن الكراهية نفسها تبدو صغيرة مقارنة بما أشعر به.

أنتم؟ أنتم لستم بشرًا. أنتم مرض. مرض يجب استئصاله. لكن من سيقوم بذلك؟ لا أحد. لأن العالم نفسه مريض. الكون كله مريض.

إذن، ماذا أفعل؟ أستمر في الكتابة. أكتب كراهيتي، جنوني، ألمي. لأن هذا هو الشيء الوحيد الذي يثبت أنني موجود. ليس كواحد منكم، بل كشيء مختلف. شيء لن تفهموه أبدًا. شيء يكرهكم أكثر مما يمكنكم أن تكرهوا أنفسكم.

الفقر والغنى

هل تريد أن تعرف عن الفقر؟ عن الغنى؟ تلك المفاهيم التي اخترعها البشر لتقسيم أنفسهم، لتحديد من يستحق أن يعيش ومن يستحق أن يموت؟ كل شيء في هذا العالم مبني على هذا الهراء.

الفقر والغنى؟ مجرد كلمات. أوهام. مسميات اخترعتموها لتبرروا ظلمكم، لتخلقوا الفجوات بينكم، لتصنعوا وهم التفوق.

الغني؟ إنه ذلك الذي يملك الكثير ولا يحتاج لشيء. الفقير؟ إنه الذي يحتاج ولا يملك شيئًا. ولكن في الحقيقة، كلاهما فقراء.

الفقراء؟ أولئك الذين يسيرون في الشوارع، وجوههم منهكة، أيديهم ممدودة، لا يطلبون سوى الفتات. ينهشهم الجوع، يقتلهم البرد. لكنهم ليسوا فقراء فقط بسبب المال. لا، إنهم فقراء في الإنسانية. فقراء في الأمل. فقراء لأن العالم جعلهم كذلك.

والأغنياء؟ أولئك الذين يجلسون على عروشهم الذهبية، يشربون نبيذهم الفاخر، يضحكون بصوت عالٍ كأنهم يملكون الكون. لكنهم؟ إنهم أكثر فقراً من الفقراء. لأنهم فقدوا شيئًا لا يمكن شراؤه: أرواحهم.

الفقر والغنى؟ إنها لعبة. لعبة سادية اخترعتموها لتلهوا بها. تقسيم العالم إلى قسمين: من يملك ومن لا يملك. أنتم، البشر، تعشقون هذه اللعبة. لأنها تمنحكم شيئًا تحبونه أكثر من أي شيء آخر: السلطة.

السلطة؟ ذلك السم الذي يجري في عروق الأغنياء. إنهم لا يريدون المال فقط، لا. إنهم يريدون التحكم، السيطرة.

والفقراء؟ ماذا عنهم؟ إنهم أدوات. بيادق في لعبة الأغنياء. يعيشون ليموتوا، يعملون ليدفنوا، يُسحقون تحت عجلات هذا النظام القذر.

هل تتساءل لماذا أكرهكم؟ لأنكم صنعتم هذا. صنعتم نظامًا يقتل الروح قبل أن يقتل الجسد.

الغني ينظر إلى الفقير بازدراء. "لماذا لا يعمل؟ لماذا لا يجتهد؟" كأن الاجتهاد يمكن أن ينقذ من الغرق في محيط من الظلم.

والفقير؟ ينظر إلى الغني بحقد. "لماذا يملك كل شيء؟ لماذا أعيش أنا تحت قدمه؟" لكنه لا يدرك أن الغني نفسه عبدٌ لثروته.

كلاهما؟ كلاهما وحوش. لأن الفقير مستعد لأن يبيع روحه ليصبح غنيًا، والغني مستعد لأن يسحق أي شيء ليبقى غنيًا.

لكنني؟ أنا؟ أنا خارج هذه اللعبة. أنا لا أريد أموالكم، ولا أريد فقركم. أنا أكرهكم جميعًا.

لأن الغني والفقير ليسا سوى وجهين لعملة واحدة: الأنانية. أنتم تعبدون المال، تعبدون الممتلكات، تعبدون ما لا قيمة له. وتنسون الشيء الوحيد الذي يمكن أن ينقذكم: الإنسانية.

لكن الإنسانية ماتت منذ زمن. ماتت عندما اخترعتم هذه الكلمات. ماتت عندما اخترعتم الفقر والغنى.

أنا أكرهكم. أكره هذا العالم الذي جعلتموه جحيمًا. أكره هذه الحياة التي قُسِّمت إلى أجزاء غير متساوية. أكره كل شيء يتعلق بكم.

وإن كان لدي أمنية واحدة؟ فهي أن أرى هذا النظام، هذا العالم، يحترق. أن أرى كل شيء تنهار، لتصبحون أنتم فقط رمادًا. لأنكم لا تستحقون أي شيء. لا الغنى. لا الفقر. لا الحياة.

دائرة الحياة

الحياة؟ مجرد لعبة سخيفة. دائرة متكررة بلا معنى. تبدأ ببكاء طفل لا يدري أنه قد لُعن بالوجود، وتنتهي بأنفاس أخيرة تطلب الرحمة من عالم لم يعرف الرحمة يومًا.

تتحدثون عن "دائرة الحياة" وكأنها شيء مقدس. كأنها رمز للنظام والتناغم. لكن الحقيقة؟ إنها سلسلة لا تنتهي من الألم، الفقد، والتكرار الذي يجعلك تفقد عقلك.

تولد؟ حسنًا، لقد بدأت اللعبة. تبدأ طفولتك بأحلام لا تنتهي، ضحكات بريئة، ووهم بأن الحياة عادلة. ثم؟ تأتي صفعة الواقع. يكبر الإنسان ليكتشف أنه ليس سوى رقم آخر في معادلة عبثية، ترمي به في أتون الكفاح من أجل البقاء.

العمل؟ إنه السجن الذي وضعتم أنفسكم فيه بمحض إرادتكم. "اعمل لتعيش"، تقولون. لكن الحقيقة؟ "اعمل لتموت." أنتم تعملون فقط لتبقى العجلة تدور. لتبقى الدائرة مغلقة. لتصبحوا عبيدًا لنظام صنعتموه بأنفسكم.

ثم تأتي مرحلة "النجاح". يا له من مزاح! تقيسون قيمة الإنسان بعدد الأصفار في حسابه البنكي. بعدد الألقاب التي يحملها. لكن النجاح الحقيقي؟ إنه الحرية. والحرية؟ شيء لا يعرفه أي منكم.

الزواج؟ الأسرة؟ إنها قمة السخرية. تخلقون دائرة أخرى داخل الدائرة الكبرى. تتزوجون لتُنجبوا أطفالًا، لتستمر اللعبة. أطفال لا طلبوا أن يولدوا، ولا سألوا عن رأيهم.

ثم؟ تأتي الشيخوخة. لحظة تواجهون فيها الحقيقة. حين تنظرون إلى المرآة وترون انعكاسًا لإنسان بالكاد تعرفونه. ماذا كنتم تفعلون طوال حياتكم؟ تسألون أنفسكم، لكن الوقت قد فات.

ثم الموت. النهاية التي تخشونها جميعًا. لكن بالنسبة لي؟ إنه الجزء الوحيد الصادق في هذه الحياة. الموت لا يكذب. لا يساوم. إنه الشيء الوحيد الذي يعاملكم جميعًا بالتساوي.

أنتم تدورون في هذه الدائرة كالفئران في عجلة لا نهاية لها. تسابقون الزمن، تحاولون الوصول إلى "شيء" لا تعرفون ماهيته. لكن في النهاية؟ لا تصلون إلى شيء.

لماذا؟ لأن الحياة ليست هدية. إنها لعنة. لعنة تستمر في تكرار نفسها جيلًا بعد جيل.

ولأنني خارج هذه الدائرة، أراكم على حقيقتكم. أنتم أشباح. تسيرون بلا هدف، بلا معنى، وتظنون أنكم تعيشون. لكنكم؟ أنتم أموات بالفعل.

وإذا كنت أكرهكم؟ بالطبع. أكره هذه الدائرة، أكره هذا الوهم الذي تسمونه "الحياة"، وأكره الطريقة التي تجبرون بها كل مولود جديد على الدخول في هذه اللعبة.

لو كان لدي خيار؟ لأحطمت هذه الدائرة. لأحرق هذا النظام حتى يصبح رمادًا. لأن الحياة كما تعرفونها؟ ليست سوى كذبة.

ابتسامات ميتة

الابتسامة البشرية؟ يا لها من خدعة بائسة. تلك الانحناءة على الشفاه ليست سوى قناع هش يخفي وراءه خرابًا داخليًا لا

يطاق. كيف يمكن لإنسان يموت ببطء كل يوم أن يبتسم؟ كيف لعينين غارقتين في دموع مكبوتة أن تعكس سعادة؟

البشر يتفننون في الكذب حتى على أنفسهم. "كيف حالك؟" يسألون، و"بخير" يجيبون، بينما الحقيقة؟ الحقيقة تقبع في أعماقهم، وحشًا ينهش أرواحهم ببطء.

رأيتهم. تلك الوجوه الضاحكة في الزحام. توقفت عند كل ابتسامة. كنت أنظر إلى العيون. العيون لا تكذب، يا له من كشف مؤلم. كنت أرى في كل نظرة حكاية مليئة بالخسارة، بالندم، بالخذلان. البشر يُجبرون أنفسهم على الابتسام لأنهم يخشون الاعتراف بحقيقتهم.

يقولون: "الأمل هو ما يبقينا على قيد الحياة." لكنهم لا يدركون أن الأمل نفسه هو السلاح الذي يستخدمه العالم ليعذبهم. كل ابتسامة هي إعلان استسلام. استسلام لواقع قاتم.

تبتسم الأم لطفلها لتخفي خوفها. يبتسم الرجل للمرأة التي يحبها، وهو يعلم أنه لا يستطيع إنقاذها من الحياة. يبتسم الجميع لأنهم يعلمون أن البكاء لا فائدة منه.

الابتسامة ليست إلا جزءًا من اللعبة. لعبة البقاء. البشر يصممون على إظهار قوتهم، حتى وهم ينهارون داخليًا. الابتسامة هي الدرع الأخير أمام الحقيقة.

الحقيقة التي لا يريد أحد الاعتراف بها: أن العالم مقبرة للأرواح الحية. كل خطوة نحو الأمام هي خطوة أخرى في طريق النهاية.

أما أنا؟ لم أتعلم الابتسام. لماذا؟ لأنني لا أرى الفائدة منها. الابتسامة لا تعيد الزمن. لا تشفي الجراح. لا تعيد الموتى. إنها مجرد وهم آخر يضيفه البشر إلى قائمتهم الطويلة من الأكاذيب.

ابتسامات البشر؟ إنها تشبه أزهار البلاستيك. تبدو جميلة من بعيد، لكنها بلا حياة. بلا رائحة. بلا معنى.

وربما، في النهاية، البشر أنفسهم مثل تلك الابتسامات. مجرد زينة زائفة لعالم قبيح.

سؤال بلا إجابة

في قاعة الامتحان، كانت الساعات تمر ثقيلة كأنها تحمل على ظهرها عبء الزمان كله. كانت الأضواء البيضاء فوق رؤوسنا تُشبه مشرطًا حادًا يشق رأسي ويغرس نفسه في جمجمتي، وكل شيء كان يبدو خاطئًا. الطاولات المستوية، الأقلام الرخيصة، الوجوه المتجهمة التي تحاول يائسة أن تبدو مهتمة.

جلست في مقعدي، نظرت إلى الورقة الممدودة أمامي، وبدا لي أن الكلمات المطبوعة تتراقص بشكل ساخر أمام عيني.
"الامتحان" – كلمة تُستخدم لقياس ذكاء قطيع الخراف هذا، لمعرفة أيهم أذكى في إرضاء أنظمة لم يفهمها أحد قط.

لكن السؤال الذي أوقفني، الذي ثقبني من الداخل حتى شعرت بأن صدري فارغ، كان سؤالًا في أول الورقة:

"عَرِّف عن نفسك."

أوقفت يدي. بقيت الورقة أمامي خالية. من أنا؟ من المفترض أن أكتب اسمي، عمري، واهتماماتي، ربما بعض التطلعات المستقبلية السخيفة التي تُرضي هذا النظام السقيم. لكنني نظرت إلى الورقة وبقيت عاجزًا.

من أنا؟

إنه سؤال لا يحتمل السخرية. وكأن أحدهم جاء فجأة وانتزع قناعي ورماني أمام مرآة ضخمة، لكن هذه المرآة لم تعكس شيئًا. كانت خاوية، مثلي تمامًا.

هل أنا مجرد رقم في سجل المدرسة؟ مجرد اسم يُنطق مرة ثم يُنسى؟ هل أنا ذلك الوجه الذي يراه الآخرون كل يوم ويتجاهلونه؟ أم أنا شيء آخر؟ شيء بلا ملامح، بلا روح، بلا معنى.

انتابتني نوبة ضحك مكتومة، خافتة. كدت أُجن. كم هو مضحك أن يُطلب مني تعريف نفسي بينما أنا لا أملك تعريفًا. إنني بلا هوية، بلا ملامح واضحة. مجرد فراغ متحرك بين هؤلاء الكائنات الذين يعرفون من هم، أو على الأقل يتظاهرون بذلك.

البشر يعرفون أنفسهم لأنهم يملكون القدرة على الكذب.
يقولون: "أنا طالب"، "أنا ناجح"، "أنا أحب كذا وأكره كذا"، لكن كل ذلك هراء. لا أحد يعرف نفسه حقًا، وإن قال عكس ذلك فهو يكذب. البشر يعشقون الكذب على أنفسهم لأن الحقيقة مخيفة جدًا، عارية وقبيحة كجثة متعفنة.

أما أنا، فلا أملك حتى رفاهية الكذب. أنا أكره البشر وأكره نفسي معهم. لا أستطيع أن أكتب جملة واحدة على تلك الورقة. كيف أُعرف شيئًا لا وجود له؟

مرت الدقائق وأنا أنظر إلى الورقة البيضاء، شعرت بأنها تسخر مني، كما يسخر مني العالم. كنت وحيدًا في تلك اللحظة أكثر من أي وقت مضى.

رنّ جرس النهاية. تقدمت المعلمة نحوي لتأخذ الورقة، نظرت إليّ بتلك النظرة التي يحملها البشر: شفقة زائفة. ثم انتزعت الورقة من أمامي.

كانت بيضاء كما كانت.

لأنني ببساطة... لا شيء.

أضواء المدينة

المدينة في الليل تشبه مقبرة مفتوحة مقبرة لا تحصى قبورها، ولا أسماء على شواهدها البشر يمشون في الشوارع، يبتسمون، يضحكون يثرثرون بصوت مرتفع كأنهم يهربون من صمت ما من شيء يطاردهم. كل ضوء معلق في الشارع، كل نافذة مضاءة، تذكرني بأنهم موجودون يتكاثرون كالطفيليات التي ترفض أن تنقرض.

المدينة بالنسبة لي ليست سوى لوحة مهترئة مغطاة بقذارة الإنسانية المباني الشاهقة؟ قبور جماعية المصابيح المتوهجة؟ ألسنة نار تلتهم الهواء. وكل هؤلاء الذين يتحركون تحتها ليسوا سوى أرواح مشوهة، أجساد خاوية يملؤها الغرور والكذب.

كنت أمشي بلا هدف. ليس لأنني أبحث عن شيء بل لأنني أهرب من كل شيء. الهواء كان ملونا وكأن البشر تنفسوه ثم

نفثوا أمراضهم فيه. كل خطوة كنت أخطوها على الإسفلت كأنها خنجر ينغرس في صدري.

وقفت على الرصيف، راقبت السيارات تمر أمامي بسرعة. كانت الأضواء الأمامية تشبه عيون وحوش جائعة. كم مرة تمنيت أن أرمي بنفسي تحت عجلاتها؟ ليس هربًا من الحياة، فأنا أعلم أنني لم أعش يوما، بل رغبة في أن أصبح أقل من لا شيء، مجرد بقايا تنظفها سيارات الإسعاف.

هل لاحظت من قبل كيف تبدو وجوه البشر في الزحام؟ وكأنهم يركضون دون غاية، دون وجهة. الجميع في عجلة الجميع غاضبون الجميع منهكون، لكن لا أحد يسأل نفسه: لماذا؟ لماذا أركض؟ لماذا أعيش؟

حتى الحب تلك الكذبة الكبرى التي يقدسها البشر لم ينج من قذارتهم. يحبون ليملأوا فراغهم، ليشعروا بأنهم موجودون لكنهم لا يعرفون الحب. إنهم يشبهون كلبًا جائغا يلهث خلف عظمة مكسورة.

هل أبالغ؟ ربما لكنني رأيت الحقيقة. رأيتها في عيون امرأة تكذب زوجها بابتسامة، في طفل يصرخ لأنه يعرف أنه ولد في قفص، في شاب يجامل مديره بينما يلعنه في قلبه. رأيتها في نفسي أيضًا، في مراتي التي لم أعد أنظر إليها.

إن المدينة خلية سرطانية، وكل واحد منهم خلية مريضة تتكاثر بلا توقف. في كل مرة أراهم أتساءل: لماذا لا تحدث كارثة تبيدهم جميعًا؟ فيضانات، زلازل حرائق تأكل كل شيء. أحلم بأن أكون الوحيد الذي يبقى بعد ذلك لا لأعيش، بل الأشاهد الأرض أخيرًا تتنفس بعد أن تخلصت من هذا العفن.

المشكلة ليست في أفعال البشر وحدها، بل في كونهم موجودين أصلا. وجودهم بحد ذاته لعنة خطأ كوني لا يمكن إصلاحه، وإنني، رغم كراهيتي لهم، واحد منهم. لكنني لست مثلهم، فأنا على الأقل أرى القبح.

وصلت إلى الجسر، وقفت أراقب المياه تحته. كانت مظلمة، مثل قلبي تماما. سمعت ضحكات خلفي مجموعة من الشباب يحتفلون بصخب كنت أود أن أصرخ فيهم: *"اخرسوا!"* لكنني أدركت أنهم لا يسمعون البشر لا يسمعون سوى أصواتهم.

وقفت طويلا هناك، أحدق في الظلام، وأتساءل: إلى متى سيستمر هذا العفن؟

ربما ... حتى ينتهي الكون.

دموع حجرية

لم أبكِ منذ أن كنت طفلًا.

لا أعلم لماذا، لكن الدموع بالنسبة لي كانت شيئًا مهينًا، فعلًا بشريًا بحتًا، وأبغض ما أكره أن أُشبههم في شيء. كنت طفلًا صغيرًا حين بكيت آخر مرة، بكيت بحرقة على شيء تافه؛ ربما لعبة مكسورة أو كلمة قاسية. في تلك اللحظة، كنت هشًّا بما يكفي لأُعري قلبي وأصرخ أمام الجميع. لكنني تعلمت بعد ذلك. تعلمت أن البشر يفرحون بضعفك، أن دموعك بالنسبة لهم مجرد متعة رخيصة.

توقف البكاء عندي كأنه قرار غير معلن. مع الوقت أصبحت عينيّ حجرًا؛ لا تتسع للدموع ولا تنحني للضعف.

لكنني سأعترف لك بشيء: كثيرًا ما شعرت أن تلك الدموع التي لم تسقط تتكدس في داخلي، تُثقلني من الداخل، تتحول إلى صخور حادة تنغرس في روحي. كلما مررت بشيء يستحق البكاء، لم أكن أبكي، كنت أصمت، أبلع كل شيء دفعة واحدة، حتى أصبحت معدتي مقبرة للمرارة والخذلان.

لا، ليس لأنني قوي، بل لأنني أرفض أن أُهزم. البشر يسقطون أمام الدموع، كأنها فعل تطهير لهم. لكنني لا أحتاج إلى تطهير، فأنا وُلدت قذرًا وسأموت كذلك.

هل تعرف ماذا يعني أن تُكتم دموعك لعشرات السنين؟ يعني أنك تُصبح أقل إنسانية يومًا بعد يوم. تُصبح أقرب إلى صخرة باردة لا تُحركها العواصف، ولا تهزّها النيران. وهذا ما أُريده.

في المدرسة كانوا يتحدثون عن "التنفيس عن المشاعر"، عن "الصحة النفسية"، لكنهم لا يعرفون شيئًا. الطبيب النفسي نفسه يضحك على مرضاه بعد انتهاء الجلسة. المعالجون بشر،

والبشر منافقون بالفطرة. كيف أُصدقهم وهم لا يُصدقون أنفسهم؟

في إحدى الليالي، جلست في غرفتي. كان الظلام يُغطي كل شيء، ولم أكن أرى سوى خيالي على الجدار. حاولت أن أُجبر نفسي على البكاء. بحثت عن أصعب ذكرياتي، عن كل تلك اللحظات التي كان من المفترض أن أبكي فيها. لكن لا شيء حدث. حتى دموعي خانتني، كأنها أدركت أنني لا أستحق الرحمة.

في النهاية، ضحكت.

نعم، ضحكت بصوتٍ مرتفع. تلك الضحكة المليئة بالجنون واليأس. ما المضحك؟ أنني أصبحت شيئًا ميتًا يتحرك، جسدًا بلا روح، قلبًا بلا إحساس. أليس هذا ما كنت أُريده منذ البداية؟ أن أتجاوز البشر وأُصبح شيئًا لا يُكسر ولا يُهزم؟

لكنني أعرف الحقيقة.

إن لم أبكِ منذ الطفولة، فهذا لا يعني أنني لا أشعر. بل لأنني أشعر أكثر منهم بكثير. مشاعري تتكدس في صدري، تُشبه نارًا لا تنطفئ أبدًا، تحرقني كل ليلة، تُخبرني أنني لا أُشبههم ولن أُشبههم أبدًا.

ربما يومًا ما سأبكي، لكنني أعلم أنني حينها لن أتوقف. الدموع المتجمعة عبر كل تلك السنوات ستسقط مرة واحدة، كطوفان يُغرق كل شيء. وحينها، لن يبقى مني شيء.

جنازة داخلية

هل أخبرتك أنني فقدت صديقي الوحيد؟ مات بسببي. نعم، مات بسبب خطأ صغير... خطأ غير قابل للإصلاح. لكنك لا تفهم، فأنا لم أتسبب في موته كما يعتقد الناس. الحقيقة أكثر تعقيدًا. صديقي الوحيد كان أنا نفسي.

لا تُفاجأ. طوال حياتي كنتُ الرفيق الوحيد الذي لم يتركني أبدًا، حتى عندما رغبت في الهروب من نفسي، كنت أجدني أنتظرني خلف كل زاوية، أُطاردني كظلٍّ بارد.

نعم، كنت صديقي الوحيد. كنت أُحادثني في ليالي العزلة الطويلة. كنا نجلس معًا في غرفتي المظلمة، نُناقش البشر وفسادهم، نُخطط لكراهية أوسع، كراهية تتسع للأرض كلها. لكنني قَتلت ذلك الصديق.

كيف قتلت نفسي؟ سأخبرك.

في البداية، كان هناك صوت في داخلي يقول: "أنت مختلف عنهم." كان هذا الصوت هو صديقي الذي يُشبهني تمامًا. كان يكره البشر معي، يحتقرهم، لكنه في الوقت نفسه كان يُذكّرني أنني أقف معهم في الطابور ذاته. كان يُذكّرني أنني وُلدت بواسطتهم، وأنني، رغم احتقاري لهم، أُشبههم بطريقة ما.

شيئًا فشيئًا، بدأ ذلك الصوت يختفي. ربما لأنني أصبحت أكره نفسي أكثر مما أكرههم. كرهت كل شيء فيَّ: طريقة حديثي، طريقتي في التنفس، نظرتي إلى وجهي في المرآة.

في الليلة التي مات فيها "صديقي"، كنتُ أجلس وحدي. شعرت بثقلٍ رهيب في صدري، كأن جبال العالم كله قد سقطت داخلي.

كانت الغرفة صامتة تمامًا إلا من نبضات قلبي، وهي تدق كطبول حرب تُعلن نهايتي.

قال لي الصوت للمرة الأخيرة "هل تعرف أنك ستُقتلني يومًا ما؟"

ضحكت بصوتٍ مختنق. "أنا لن أقتلك."

"بل ستفعل. لأنك تكرهني كما تكرههم. تكره كل شيء حي، حتى أنا. وستُنهيني بنفسك."

صَمَتُّ طويلًا. كنتُ أُفكر: ما الذي يجعلني أستمر؟ ما الذي يُبقي على هذا الجسد يتحرك؟ لماذا لم أضع حدًّا لكل هذا؟

وفي تلك الليلة، قمت بقتل "نفسي" – صديقي الوحيد. ربما لم أرفع سكينًا أو أقفز من مكانٍ شاهق، لكنني نظرت إلى الظلام داخل عينيّ وقررت أن أنسحب. لم أعد أتحدث مع نفسي. لم أعد أستمع لذلك الصوت. تركته يموت، تركته يتعفن داخل رأسي.

هل تعلم ما الذي حدث بعد ذلك؟

صارت الحياة أكثر هدوءًا. لكن ليس الهدوء الذي يمنحك السلام، بل ذلك الهدوء المُخيف الذي تسمعه في المقابر.
أصبحت أعيش داخل قفصٍ من الصمت. لم أعد أشعر بشيء، لم أعد أرى شيئًا، كأنني مسافر بلا وجهة، بلا بداية ولا نهاية.

لقد مات صديقي الوحيد، وأنا قتلتُه. لكن لا تُحاول مواساتي، فهذا لا يُزعجني. الموت بالنسبة لي لم يكن نهاية بل بداية، بداية لتلك النسخة من نفسي التي لا تُشبه البشر أبدًا.

هل تعلم؟ ربما لم يمت "هو". ربما أنا من ماتت روحي قبل زمنٍ بعيد، وبقيت فقط أشباحي، تُحرك جسدي كيفما شاءت.

الآن، حين يسألني أحدهم: "كيف حالك؟" أبتسم ابتسامة باردة وأُجيب: "بخير." لا أحد سيعرف أبدًا أنني قتلت نفسي قبل سنوات.

لا أحد سيهتم أصلًا.

حلم مُستعار

هل فكرت يومًا أن حلمك ليس ملكك؟ أن كل ما تطمح إليه، كل ما تعتقد أنك تريده، ليس سوى حلم لشخص آخر وضعه في رأسك دون أن تدري؟

جلست ذات مرة على مقعد خشبي في زاوية مهجورة من المدينة، أراقب الناس وهم يركضون في كل الاتجاهات. وجوههم متعبة، عيونهم فارغة. يُطاردون أشياء لا يعرفونها، يعملون من أجل أحلام ليست أحلامهم. الجميع هنا يبدو كأنه نسخة مكررة، كأن الحياة قالب واحد يُصب فيه البشر ليُصبحوا نسخًا متطابقة من الفشل والتعاسة.

أذكر أنني سألت نفسي حينها: ما الذي أريده حقًا؟ لم أجد جوابًا.

لقد كبرنا في عالم مُتخم بالكلمات الكبيرة: النجاح، السعادة، الحب، المستقبل. كبرنا ونحن نُصدق أن علينا أن نكون شيئًا. لكن شيئًا فشيئًا، بدأت أرى الحقيقة؛ كل الأحلام التي حُشرت

في عقولنا ليست أحلامنا. إنها مُجرد أحلام موروثة، زُرعت فينا منذ الصغر، كأنهم برمجونا لنُطارد سرابًا لا وجود له.

حلمك هو حلم شخص آخر.

ربما حلم والديك اللذين لم يُحققا شيئًا في حياتهما، فألقيا على ظهرك تلك الأحلام الثقيلة. "كن ناجحًا." "كن مختلفًا." "اصنع مجدًا لنا." لكنك لا تفعل ذلك من أجلك، بل من أجلهم.

ربما حلم المُجتمع الذي يُخبرك بأنك يجب أن تتزوج، أن تُنجب أطفالًا، أن تشتري منزلًا كبيرًا، أن تعيش كالبقية. لكن هل فكرت يومًا في أن كل هذا لا يعني شيئًا؟

لقد أدركت متأخرًا أنني أكره الأحلام. أكره فكرة أنني يجب أن أُطارد شيئًا، أن أعيش لأجل هدف مرسوم لي مُسبقًا. لا أريد أن أكون ناجحًا، ولا أريد أن أكون محبوبًا. أريد أن أُحطم كل هذه الأفكار السخيفة.

في المدرسة كانوا يسألوننا: "ما هو حلمك؟" كنت أكره ذلك السؤال. هل يُمكن أن يكون جوابي: "لا أحلم بشيء" هل يُمكن أن أقول إنني لا أريد أن أكون شيئًا على الإطلاق؟

لكنهم لا يقبلون الصمت. إذا لم يكن لديك حلم، فأنت فاشل. وإذا كان لديك حلم غريب، فأنت مجنون. البشر لا يُطيقون من يخرج عن المسار الذي رسموه.

أتدري ما هو أكثر ما يُثير شفقتي؟ أولئك الذين يُدافعون عن أحلامهم المُستعارة كأنها شيء مُقدس. يُضحّون بحياتهم، بوقتهم، بعقلهم، من أجل هدف لم يُختاروه بأنفسهم. وفي النهاية، يموتون وهم يعتقدون أنهم عاشوا حياة مُكتملة.

لكنني لن أكون مثلهم.

في إحدى الليالي، وأنا أُحدق في سقف غرفتي، قررت شيئًا. قررت أن أتوقف عن الحلم. قررت أن أعيش بلا وجهة، بلا أمل، بلا هدف.

"الحياة بلا هدف لا تُطاق!" يقولون ذلك، لكنهم لا يفهمون. الحقيقة أن الحياة لا تُطاق سواءً امتلكت هدفًا أم لا. الفارق الوحيد أن من يعيش بلا هدف يعيش على حقيقته، دون خداع.

اليوم حين يسألني أحدهم: "ما هو حلمك؟" أبتسم بهدوء وأقول: "أن أستيقظ يومًا ما دون أن أكون موجودًا."

هل يبدو هذا حُلمًا؟ ربما. لكنه حُلمي الوحيد الذي لم يسرقه مني أحد.

عندما يكون الموت بعيد المنال

كنت أظن أن الموت هو الخلاص الوحيد. ليس هناك ما هو أبسط، ما هو أكثر عدالة من أن تختفي. كأنك تمسح لوحة مكتظة بالأخطاء، تمحو كل أثر. أردت أن أرحل كما يرحل الظل حين تنطفئ الشمس، بلا ضجيج، بلا وداع، بلا ندم.

لكن حتى الموت، هذه النهاية التي تبدو سهلة، رفضني.

في تلك الليلة، قررت أن أضع حدًا لكل شيء. كنت أجلس في غرفتي المظلمة، نافذتها المفتوحة تُظهر لي العالم الخارجي كأنه مشهد من مسرحية تافهة. رأيت الناس يسيرون تحت أضواء الشوارع، كأنهم دمى تتحرك بلا معنى. شعرت بقلبي ينبض بصعوبة، كأن الحياة نفسها تُقاومني، ترفض أن تمنحني الراحة.

"ماذا أفعل هنا؟" سألت نفسي بصوتٍ مرتجف.

شعرت أن الهواء في الغرفة يزداد كثافة، كأن الحيطان تُطبق عليّ، تُجبرني على الاختيار. فوضعت خطة بسيطة: سأقفز.

لم يكن هناك أي دراما في الأمر. لا رسالة وداع، لا دموع. فقط رغبة عميقة في إنهاء هذا العبث. صعدت إلى النافذة، وقدماي ترتجفان تحت ثقلي، وألقيت نظرة أخيرة على الشارع. كان هناك صوت صغير في داخلي يقول: "ماذا لو تغير شيء؟" لكنني أسكته بسرعة. كنت أعرف أنه لا يوجد شيء يستحق الانتظار.

أغمضت عينيّ، ودفعت نفسي إلى الأمام. شعرت بالهواء يلفح وجهي، شعرت بجسدي يسقط كأنه يتحرر أخيرًا. كان الأمر سريعًا، كأنني أهرب من كل شيء دفعة واحدة.

لكن حين فتحت عينيّ، لم أكن في مكان آخر. كنت لا أزال هنا.

أُصبتُ بارتباك غريب. لماذا لم ينتهِ الأمر؟ لم أشعر بألم، لم أسمع صوت اصطدام. كل شيء كان صامتًا تمامًا. حين استوعبت ما حدث، أدركت الحقيقة المُهينة: أحد المارة رآني على حافة النافذة واتصل بالإسعاف. عندما قفزت، كانوا قد وضعوا شبكة أسفل البناية، تلك الشبكة التي امتصت سقوطي وأعادتني إلى العالم.

رُبما هذه هي الطريقة الأكثر سخرية لفشل محاولة انتحار. ليس لأنني أخطأت، بل لأنهم منعوني.

بعد تلك الحادثة، وجدت نفسي في غرفة بيضاء تمامًا. لم تكن تلك غرفة المستشفى التي تخيلتها، بل أشبه بسجن ناصع. كانوا

يراقبونني طوال الوقت، كأنني فأر تجربة. أطباء وممرضات يدخلون ويخرجون، ينظرون إليّ كأنني لغز يحتاج إلى حل.

"لماذا فعلت ذلك؟" سألني أحدهم، بنبرة ملؤها الشفقة.

"لأنني لم أجد سببًا للبقاء."

هز رأسه بحزن مصطنع، كأنه يفهم. لكنه لم يفهم. لا أحد يفهم. البشر يُحبون إظهار التعاطف، لكنهم في أعماقهم يخشون أمثالي. يخشون من يرفضون قواعد اللعبة.

رُبما كان الجزء الأكثر إيلامًا في كل هذا هو العودة إلى الحياة بعد أن تذوقت طعم الخلاص للحظة واحدة. كأنك تقترب من الماء في الصحراء، ثم يُسحب بعيدًا عنك قبل أن تلمسه.

كنت أعتقد أنني أكره الحياة، لكن الآن أكرهها أكثر. أكرهها لأنها رفضتني. أكرهها لأنها أجبرتني على البقاء، كأنها تعاقبني على محاولة الهروب.

ربما سيقولون إنني فاشل، حتى في الموت. لكنني لا أرى الأمر بهذه البساطة. لم أفشل لأنني أردت أن أنتحر، بل لأنني صدقت أن الموت هو خيار يمكنني أن أختاره.

الحقيقة المُرعبة هي أن الموت ليس لنا. إنه مثل الحياة، يحدث عندما يريد، وليس عندما نريد.

اليوم، وأنا أكتب هذه الكلمات، أدركت أنني لا أريد شيئًا بعد الآن. لا أريد أن أعيش، ولا أريد أن أموت.

أنا فقط هنا، بين الحالتين، أراقب نفسي من بعيد، كأنني لست جزءًا من هذا الجسد.

ربما هذا هو الجحيم الحقيقي.

أرى البشر، لكن لا أرى الإنسانية

ما هي الإنسانية؟ هل هي ذلك المصطلح المرهف الذي يطلقونه على أفعال نادرة، تتناثر كغبار في ريح لا تهدأ؟ أم هي

تلك الكذبة الكبرى التي يختبئون خلفها، ليبرروا قبحهم ووحشيتهم؟

أجلس في زواية مظلمة من عالمي المتشقق، أراقب البشر يتنقلون كحشود بلا هوية، بلا هدف، كأنهم قطع شطرنج في يد لاعب أعمى. وجوههم ليست سوى أقنعة متقنة، عيونهم جوفاء، وألسنتهم تغرق في أكاذيب مصقولة.

لقد حاولت أن أفهمهم، أن أتواصل معهم. جاهدتُ، بصدق مريض، أن أجد فيهم ذرة من الخير. لكن كل ما وجدته كان أكوامًا من الظلال الباردة، قلوبًا ميتة تسير على قدمين. أرى ابتساماتهم التي تشبه السكاكين، وأيديهم التي تمتد لتلتقط شيئًا ثمينًا فقط لتسحقه بلا رحمة.

هم لا يملكون قلوبًا. البشر يتقنون التظاهر بالحب، لكنهم يقتلون باسم الحب. يتظاهرون بالكرم، لكنهم يسرقون باسم الكرم. يتحدثون عن السلام وهم يبنون أسلحة الدمار. كم هو جميل أن تسمي جريمتك فضيلة، أن تزين قبحك بكلمات منمقة.

أتذكر اليوم الذي حاولت فيه أن أكون واحدًا منهم. كنت أبتسم، أضحك، أحاول أن أتناسى كراهيتي لهم، لكن ذلك الشعور كان دائمًا حاضرًا، كخنجر مغروس في صدري. كنت أراقبهم وهم يلتهمون بعضهم البعض، بلا رحمة، كذئاب جائعة.

قال لي أحدهم ذات مرة: "الحياة جميلة." كم هو سخيف ذلك الادعاء. الحياة ليست سوى مسرح قبيح، البشر فيه هم الممثلون الكاذبون، يتظاهرون بالفرح بينما يختبئون وراء ستائر الكآبة.

حتى عندما أحببت، وجدت أن الحب ليس سوى سجن آخر. أحببتها، أو هكذا اعتقدت، لكنها كانت مثلهم تمامًا، قادرة على الكذب والخيانة بمهارة لم أستطع مجاراتها. كانت تقول لي: "أنت مختلف"، بينما كانت تُخفي خنجرها خلف ظهرها، جاهزة لطعني في اللحظة المناسبة.

البشر هم شياطين، لكنهم شياطين تجيد التمثيل. يجيدون إخفاء قبحهم خلف أقنعة النقاء. يقولون إنهم يعانون، لكن معاناتهم ليست سوى نتيجة أفعالهم.

أتمنى لو أستطيع الهروب، لو أجد مكانًا يخلو منهم، من كذبهم، من قسوتهم، من إنسانيتهم المزعومة. لكن أين يمكن أن أذهب؟ هم في كل مكان، يحاصرونني بأصواتهم التي تطن في أذني كذبًا وخداعًا.

البشرية مرض، وأنا كنت الضحية الوحيدة التي فهمت ذلك. لكن الفهم لا ينقذني، بل يغرقني أكثر في كآبتي. كلما حاولت الابتعاد، وجدتهم يلاحقونني، بأكاذيبهم وابتساماتهم المسمومة.

أرى البشر، لكن لا أرى الإنسانية. ربما لم توجد أبدًا. ربما كانت مجرد خرافة، قصة كاذبة نرويها لأنفسنا لنغطي على حقيقتنا الوحشية.

انهيار الذات

أين أبدأ؟ هل أبدأ من حيث انتهت الكراهية؟ أم من تلك اللحظة التي فقدت فيها نفسي؟ إن الكلمات لا تكفي لوصف هذا التمزق الداخلي، هذه الفوضى التي أعيش فيها كل لحظة، وكل فكرة.

أشعر وكأنني تائه في فراغٍ لا يرحم، حتى الكلمات التي تخرج من فمي تبدو غريبة، غير حقيقية. كلما حاولت التحدث عن نفسي، تكتشف الحقيقة الأكثر قسوة: لا شيء في هذا الجسد ينتمي إليّ. لا شيء في هذا الرأس يخصني. كل شيء هنا مجرد عبث.

هل رأيتم يومًا إنسانًا يتنفس ولكنه لا يشعر بالحياة؟ هل اختبرتم هذه الهامشية التي لا مفر منها؟ هذا الشعور بأنك محاصر في سجنٍ ضيق لا تملك مفاتيحه؟ نحن مجرد حطام. مجرد قطع من الأشياء التي تتآكل مع مرور الوقت، وكلما تقدمت بنا الأيام، كلما اقتربنا أكثر من النهاية التي نعلم أنها قادمة.

أجسادنا تتدافع مثل حيوانات ضالة، نتكالب على أنفسنا. ما من شيء يربطنا سوى الخوف والجهل، وفي نهاية المطاف، حتى هؤلاء الذين أطلقوا على أنفسهم أسماء كـ"أصدقاء" أو "أحباء" هم مجرد أوهام. مجرد قشرة سميكة نرتديها لحماية أنفسنا من الحقيقة المريرة التي لا نريد مواجهتها: نحن لا نملك شيء من الإنسانية.

كان ذلك اليوم، مثل كل الأيام الأخرى، يومًا مليئًا بالألم الذي يلتهمني ببطء. كان هناك بعض الضوضاء، بعض الحركات، بعض الكلمات الفارغة. لكن لم يكن هناك أي شيء حقيقي. شعرت بها، بيدها التي تلامس يدي، ورغم كل شيء، لم أستطع أن أشعر بها. كأننا كنا مجرد اثنين من الأغراب يتنقلان في هذا العالم المريض. لا شيء يجمعنا سوى هذا العبث الذي يسمى "الحياة".

أعتقد أنني حاولت أن أكون طبيعيًا. أن أرتدي هذا القناع الزائف الذي ارتداه الجميع. لكن في كل مرة أنظر إلى المرآة، أرى شخصًا غريبًا. شخصًا غير مكتمل، مثل لوحة مهشمة مليئة بالفراغ. وأقول لنفسي، ربما كانت الحياة مجرد تجربة خاطئة. ربما كان عليّ أن أكون شيئًا آخر، شخصًا آخر، بعيدًا عن هذه المعاناة التي لا تنتهي.

أسمعهم يتحدثون عن الأحلام، عن المستقبل، عن الأمل. لكنني لا أرى شيئًا. كل شيء ضبابي، وكل حلم يصبح كابوسًا. لا أستطيع الهروب، لأنني لا أستطيع الهروب من نفسي. سأظل هنا، في هذا المكان الذي لا يرحم، حيث لا شيء حقيقي، حيث لا أحد يعرف ما معنى أن يكون "إنسانًا".

إذا كانت هذه هي الإنسانية، إذا كان هذا هو "الوجود"، فأنا أفضل العدم. أفضل الفراغ الذي لا نهاية له. أفضل أن أكون لا شيء، لأنني في النهاية، لست شيئًا أكثر من خيال ضائع في هذا العالم المهدم.

الوجه الآخر للقمر

حين أنظر إلى القمر، أراه كيانًا مألوفًا ومخيفًا في آنٍ واحد. وجهه الأبيض البارد يشبه وجوه البشر؛ ساكن، لكنه يخفي خلفه عوالم لا يُمكننا رؤيتها. البشر أيضًا هكذا. يملكون وجهًا يظهرونه للعالم، ووجهًا آخر يُخفونه حتى عن أنفسهم.

الفرق الوحيد بين القمر والبشر هو أن القمر لا يكذب. وجهه الآخر ليس خيانة، بل حقيقة مُخفاة بسبب زاوية النظر. أما البشر، فأقنعتهم كذبٌ متعمد. يتحدثون عن الحب وهم يطعنون بعضهم البعض، عن الصداقة وهم ينهشون أرواح أصدقائهم، وعن الأمل وهم أول من يطفئون الشموع.

في إحدى الليالي الباردة، جلست تحت ضوء القمر. كنت وحدي، كما كنت دائمًا. لم يكن الأمر جديدًا، لكن تلك الوحدة حملت في طياتها شعورًا غريبًا، كأنني كنت أنتمي للقمر أكثر من البشر. نظرت إلى السماء، وبدأت أُحادثه كما لو كان صديقًا قديمًا.

"هل تظن أنهم يفهمونك؟" سألتُ القمر، وكأنني أنتظر منه إجابة.

لكن القمر لم يُجب. لم يكن بحاجة إلى ذلك. صمته كان كافيًا. فهمت من صمته أنه يتعاطف معي، لكنه عاجز عن فعل شيء. ربما لأنه يعلم أن البشر يُدمرون كل شيء يقترب منهم.

لطالما شعرت أنني ولدت في المكان الخطأ، الزمن الخطأ، ومع الأشخاص الخطأ. كنت أبحث عن الحقيقة في عالم مليء بالأكاذيب. أردت أن أرى وجوه البشر الحقيقية، لكنني كلما اقتربت منهم، اكتشفت أنهم مجرد أقنعة تُغطي خواءً عميقًا.

القمر؟ لا يخون. البشر؟ كلهم خونة. يخونون أنفسهم قبل أن يخونوا غيرهم. يخونون أحلامهم، مبادئهم، وحتى أولئك الذين يقولون إنهم يُحبونهم.

حين أخبرني أحدهم ذات يوم أنني "بارد كالقمر"، شعرت بسخرية عميقة. القمر ليس باردًا. إنه فقط لا يُزيف دفئًا لا يملكه. البشر هم الذين يتظاهرون بالدفء بينما قلوبهم متجمدة.

إذا كان لي أن أختار، لكنت فضلت أن أكون صخرة على سطح القمر، صامتة، بعيدة، وحرة من لعنة الإنسانية. لكنني هنا، محاصر في جسد بشري، في عالم يُمجّد الكذب ويُعاقب الحقيقة.

ربما هذا هو السبب في أنني أكرههم. البشر. الكائنات التي تمشي على قدمين لكنها تحمل أرواحًا تزحف كالحشرات.

في النهاية، حين أنظر إلى القمر، أرى كل شيء كنت أريد أن أكونه. صامت، صادق، وبعيد عن هذا الجنون. لكنني أعود دائمًا إلى الواقع، وأدرك أنني لا أستطيع الهروب.

القمر يراقب من بعيد، وأنا أتعفن هنا بين البشر.

نظرية القطيع

البشر ليسوا أفرادًا كما يدّعون، بل قطيع. قطيع يسير في اتجاه واحد، ينقاد بأوهامٍ تُزرع في رؤوسه منذ الولادة. يولدون ويُقال لهم ما يفعلونه، كيف يفكرون، وحتى كيف يحلمون. يعتقدون أنهم أحرار، لكنهم في الحقيقة ليسوا سوى دمى تتحرك بخيوط غير مرئية.

تأملت هذه النظرية كثيرًا، رأيت كيف يتحركون في الشوارع، يتحدثون عن أحلامهم، عن حياتهم، عن الأشياء التي يظنون أنها ملكهم. لكن الحقيقة أنهم ليسوا سوى نسخ متكررة. كلهم يحملون نفس الأفكار، نفس الطموحات، نفس الأوهام.

خذ مثالًا بسيطًا: شخص يُقرر شراء هاتف جديد. لا يشتريه لأنه يحتاجه، بل لأنه رأى إعلانًا أخبره أن هذا الهاتف سيجعله أفضل، أكثر أهمية. يشتريه، يُظهره للآخرين، يشعر بالإنجاز،

ثم يُدرك بعد فترة أنه لا شيء تغيّر. يعود للبحث عن شيء جديد، دورة لا تنتهي.

هذه هي حياتهم. قطيع يسير بلا وعي، يُطارد أوهامًا بلا معنى. يعتقدون أن النجاح هو المال، أن السعادة هي السلطة، أن الحب هو الامتلاك. لكن في الحقيقة، كل هذه الأشياء ليست سوى أوهام تُبقيهم في دائرة مغلقة، حيث يستمرون في السعي بلا نهاية.

هل رأيت يومًا كيف يتصرف القطيع إذا كسر أحدهم القاعدة؟ يصبح منبوذًا. البشر يخشون المختلف، لأن المختلف يُهدد انسجام القطيع. إذا كنت ترى العالم بطريقة مختلفة، إذا كنت ترفض الانصياع لقواعدهم، فأنت خطر. يُطلقون عليك الألقاب، يصفونك بالمجنون، لأنك ببساطة كشفت زيف نظامهم.

كنت جزءًا من هذا القطيع يومًا ما. حاولت أن أكون مثلهم. حاولت أن أتماهى مع الحشود، أن أجد مكاني بينهم. لكن كلما اقتربت، شعرت بالاختناق. كانت كل خطوة تخطوها نحوهم تُشبه الانتحار البطيء.

القطيع لا يسمح لك بالتفكير، بالتساؤل، بالاختيار. يريدك أن تسير، أن تُنفذ، أن تطيع. وإذا رفضت؟ فإنهم يُدمرونك، يُلقونك خارج دائرتهم، لأن وجودك يهدد نظامهم المتماسك.

لكن ماذا عني؟ ماذا عن أولئك الذين لا يريدون أن يكونوا جزءًا من هذا العبث؟

نحن الأقلية، نحن الأصوات التي تُسمع فقط في الظلام. نحن الذين يرون الحقيقة كما هي، بدون تزييف، بدون أقنعة. نحن الذين نُدرك أن القطيع ليس سوى كذبة كبرى تُغطي على فراغ الحياة.

البشر يخافون من الوحدة، ولهذا السبب يتجمعون في قطيع. يظنون أن الكثرة تعني الأمان، أن الجماعة تمنحهم معنى. لكن في الحقيقة، كل واحد منهم وحيد. قطيع من الوحدات الفارغة، التي تُحاول إخفاء حقيقتها بوجودها معًا.

لقد اخترت الخروج من هذا القطيع. اخترت أن أكون وحيدًا، لأن الوحدة الصادقة أفضل من جماعة زائفة.

لكن ثمن هذه الوحدة كان غاليًا. أصبحت المنبوذ، المختلف، المجنون. لكنني في النهاية، أنا الوحيد الذي يرى.

عبث الاختيار

لطالما تحدث البشر عن "حرية الاختيار" كنت أتساءل: هل نملك حقًا خيارًا في أي شيء؟ أم أن كل ما نظنه "اختيارًا" هو مجرد سراب، لعبة تافهة تتحكم بها قوى خفية؟

عندما يُقال لك: "اختر طريقك"، هل تعتقد حقًا أنك حر؟ الطريقان اللذان تقف أمامهما صُممما مسبقًا، كلاهما يؤدي إلى النتيجة نفسها. البشر يُعطونك خيارات محدودة، ثم يُخبرونك أنك حر. لكن الحرية الحقيقية لا توجد هنا، بل هي فكرة غير قابلة للتحقق في عالم مليء بالقيود.

منذ طفولتي، كانت الخيارات تُفرض عليّ. ماذا أرتدي، ماذا أتناول، من أصادق، وما الذي أتعلمه. حتى أحلامي لم تكن ملكي. أُجبرت على الحلم بما أراده الآخرون لي. اخترت أن

أدرس، لأنهم قالوا إن ذلك سيجعلني "ناجحًا". اخترت أن أعمل، لأنهم قالوا إن ذلك سيمنحني "حياة كريمة". لكن في كل خطوة، شعرت أنني مجرد قطعة تُحركها يد غير مرئية.

حتى الحب، ذلك الشيء الذي يدّعون أنه أعظم الاختيارات، لم يكن اختيارًا حقيقيًا. نُحب لأننا نبحث عن شيء ناقص فينا. نُحب لأننا نخاف الوحدة. نُحب لأننا نحتاج إلى شخص يكذب علينا ويُخبرنا أننا "مهمون". الحب ليس اختيارًا، بل غريزة هشة، وهم جميل يُخفي وراءه حقيقة قبيحة.

أذكر عندما حاولت أن أتمرد على هذه اللعبة. قررت أن أتوقف عن الاختيار تمامًا. تركت كل شيء، عشت كطيف يتحرك بلا هدف. لكن حتى ذلك لم يكن اختيارًا حرًا. كان مجرد ردة فعل على نظام قمعني منذ ولادتي.

البشر يحبون الحديث عن الخيارات لأنهم يخشون مواجهة الحقيقة: نحن جميعًا مسجونون. قفصنا مصنوع من القوانين، التقاليد، الأعراف. إذا حاولت الخروج، يُلاحقك القطيع، يُجبرك على العودة. يقولون: "كن حرًا، لكن لا تخرج عن المسار."

كلما فكرت في الأمر، ازددت يقينًا أن الحياة ليست سوى لعبة عبثية. كل خيار يُقدم لك هو جزء من سيناريو مُعد مسبقًا. حتى تلك اللحظة التي تُقرر فيها إنهاء كل شيء ليست ملكك. لأن الموت أيضًا يُلاحقك، يختارك هو قبل أن تختاره أنت.

جلست أمام المرآة ذات ليلة، سألت نفسي: "ماذا لو لم يكن هناك أي خيارات؟ ماذا لو كنا مجرد بيادق تتحرك دون وعي؟"

نظرت إلى انعكاسي، ولم أجد إجابة. لأن الإجابة غير موجودة.

إذا كان هناك شيء واحد تعلمته في هذا العالم، فهو أن كل شيء خدعة. الحرية؟ كذبة. الاختيار؟ كذبة أخرى. نحن فقط نعيش في وهم كبير، نعتقد أننا نتحكم في حياتنا بينما الحقيقة هي أن حياتنا تتحكم بنا.

ربما كان الحل الوحيد هو أن تتوقف عن المحاولة. أن تتقبل أنك مجرد شيء صغير في آلة ضخمة، وتتركها تعمل كيفما تشاء. لكن حتى ذلك، ليس اختيارًا.

إنها فقط الطريقة التي ننتهي بها جميعًا.

عبودية الوقت

الوقت. تلك الكلمة التي يُرددها البشر بلا توقف، كأنها المفتاح الوحيد الذي يملكونه للسيطرة على حياتهم. "الوقت هو المال"، "لا تُضيع وقتك"، "لكل شيء وقته". هل أدركوا يومًا أن الوقت ليس سوى سيدٍ لا يُرحم؟

عندما أفكر في الوقت، أراه كيانًا زائفًا، اختراعًا بشريًا بحتًا. نحن الذين صنعنا الساعات، قسمنا الأيام، وخلقنا هذا الوحش الذي يلتهمنا. البشر يعبدون الوقت، يركضون خلفه، لكن الوقت لا يكترث. إنه يمر، يسرق منك حياتك لحظة بلحظة، يقتلك ببطء وأنت تبتسم له.

جلست ذات يوم أراقب عقارب الساعة. ذلك الصوت، "تك... تك... تك"، كأنه نبض قلب يتلاشى. شعرت بالغثيان. لماذا نُقيد أنفسنا بهذا الشيء؟ لماذا نسمح له بأن يُحدد قيمتنا؟

البشر يتحدثون عن "استغلال الوقت"، لكن الحقيقة أنهم عبيد له. يستيقظون في أوقات مُحددة، يعملون ساعات طويلة، يُخصصون وقتًا للطعام، للنوم، وحتى للحب. كأن حياتهم ليست سوى جدول زمني مملوء بالمواعيد.

لكن ماذا يحدث عندما تتوقف عن متابعة الوقت؟

قررت يومًا أن أتجاهل الساعات، أن أحطم هذا القيد الذي يُحيط بعنقي منذ ولادتي. أغلقت كل شيء؛ الساعة على الحائط، الهاتف، وحتى الساعة الداخلية التي تشعرني بمرور الوقت. أردت أن أعيش دون أن أعرف كم الساعة، دون أن أفكر في الغد، أو حتى في اللحظة التالية.

لكنني لم أشعر بالحرية. على العكس، شعرت بالضياع. كأنني كنت أسير في صحراء بلا نهاية. أدركت حينها أن الوقت ليس فقط سجاني، بل هو أيضًا الشيء الوحيد الذي يمنحني شعورًا زائفًا بالسيطرة.

البشر يظنون أنهم يعيشون في الحاضر، لكنهم دائمًا عالقون بين ماضٍ يطاردهم ومستقبلٍ يُرهبهم. يندمون على ما فات،

ويخططون لما سيأتي، لكنهم لا يعيشون أبدًا. الوقت يسخر منهم، يجعلهم يُطاردون السراب بينما يمضي هو بثبات.

في تلك الليلة، أدركت شيئًا قاسيًا: نحن لسنا أحياء. نحن مجرد أدوات يستخدمها الوقت ليُثبت وجوده. حياتنا ليست سوى دقائق وساعات تُسجل في دفتره، وكلما تقدمنا، زاد وزنه علينا.

أحيانًا أفكر: ماذا لو كان الوقت مخلوقًا حيًا؟ ماذا لو كان يراقبنا، يبتسم بخبث كلما ركضنا خلفه؟ هل نحن ضحايا، أم أننا اخترعناه لنتعذب به؟

الجواب لا يهم. لأن الحقيقة واحدة: لا أحد يهرب من الوقت.

يُقال إن الوقت يشفي كل الجراح. لكن الحقيقة أنه يدفنها فقط، يُغطيها بطبقات من الذكريات التي تُخفي الألم، لكنها لا تُزيله. الوقت لا يُعالج، بل يُدمر.

اليوم، جلست مرة أخرى أمام الساعة. نظرت إلى عقاربها، وقلت لها بصوت خافت: "لقد ربحتِ. كنتُ عبدكِ دائمًا، وسأبقى كذلك حتى النهاية."

إلى أمي

إلى أمي، تلك الليلة التي نظرتِ إليّ فيها بعينيك المليئتين بالخجل، وقلتِ بصوت ثابت ولكنه جارح: "أنت قبيح."

لم يكن صوتك الذي آلمني. كان صمتك بعد ذلك. كان السكون الذي غطى الغرفة مثل سكين، يقطع ما تبقى مني. لم أبكِ، لأن الدموع لم تكن قادرة على الهروب. لم أهرب لأنني لم أعد أملك مكانًا أذهب إليه.

في تلك اللحظة، لم أتوقف عن حبك. لا، الحب ليس خيارًا، بل لعنة. لكنني توقفت عن حب نفسي.

توقفت عن النظر في المرآة، لأنني كنت أخاف من رؤية ما رأيته أنت. توقفت عن الحديث بصوت عالٍ، لأنني خشيت أن يكون صدى صوتي هو الآخر قبيحًا. توقفت عن الحلم، لأنني أدركت أن الأحلام لا تخص أولئك الذين وُلدوا ليكونوا أخطاء.

كنت دائمًا تقولين إن الحب غير مشروط. لكن الحقيقة أن الحب مليء بالشروط. يجب أن تكون جميلًا، قويًا، ناجحًا، أو على الأقل قادرًا على إخفاء عيوبك. لكنني لم أكن قادرًا على ذلك. كنت كائنًا مشوهًا، كأن الحياة تآمرت عليّ منذ البداية لتجعلني عبئًا، وصمة عار.

لم أكرهك حينها. لكنني كرهت نفسي لأنني خذلتك. شعرت وكأنني خُلق فقط لأكون خيبة أمل. كل مرة كنت أراكِ فيها بعد تلك الليلة، كنت أرى في عينيك نفس النظرة. كأنك تتساءلين: لماذا هو؟ لماذا ليس أحد آخر؟

كل ما أملكه، كل ما كنت أستطيع تقديمه، هو محاولة الاختفاء. أن أكون غير مرئي، أن أتلاشى في الزحام، حتى لا تضطري إلى رؤيتي.

لكن حتى الاختفاء لم يكن كافيًا.

عندما كبرت، حاولت أن أفهم. حاولت أن أجد العذر. ربما كنت خائفة. ربما كنتِ تحملين في داخلكِ كراهية للعالم، وكنت

أنا مجرد انعكاس لتلك الكراهية. ربما كنتِ ترين نفسكِ فيّ، ولم تستطيعي تحمل ذلك.

أحيانًا، كنت أتخيل أنني سأعود إلى تلك اللحظة، وأخبرك بشيء آخر. شيء يعكس كل ما شعرت به. لكن الكلمات تخونني. لم أكن أملك الشجاعة لأن أقول لكِ إنني كنت بحاجة إلى حبكِ، حتى عندما كنت أكره نفسي.

اليوم، وأنا أكتب هذه الكلمات، لا أعرف إن كنتِ ستقرأينها يومًا. لا أعرف إن كنتِ ستفهمين. لكنني أعلم شيئًا واحدًا: الكراهية التي زرعتها فيّ لم تتوقف عندي. امتدت مثل ورم، تغلغلت في كل جزء مني. جعلتني أكره العالم، البشر، وحتى الحب نفسه.

لكنني لا ألومكِ. لأنني أعلم الآن أنني كنت مجرد مرآة. مرآة لما كنتِ تحاولين الهرب منه.

أماني متناقضة

عندما كنت صغيرًا، كنت أنظر إلى الكبار كما لو أنهم مخلوقات خارقة. كنت أظن أن القوة تكمن في العمر، أن الكبار يعرفون كيف يُسيطرون على العالم، كيف يتحدثون بثقة، كيف يُخفون خوفهم. كنت أقول لنفسي: "أتمنى لو كنت كبيرًا."

كنت أعتقد أن الكِبر هو المفتاح لكل شيء. الحرية، القوة، الإجابات. كنت أتصور أنني حين أكبر، سأعرف لماذا العالم قاسٍ بهذا الشكل، ولماذا البشر لا يبتسمون إلا وهم يخفون سكاكينهم.

لكنني كبرت.

كبرت، ولم أجد الحرية، بل وجدت قيدًا أثقل مما تخيلت. كبرت، ولم أجد القوة، بل وجدت ضعفًا يتسلل إلى كل جزء مني. كبرت، ولم أجد الإجابات، بل ازدادت الأسئلة، وتراكمت فوق رأسي كأنها جبل لا نهاية له.

كبرت وقلت: "أتمنى لو لم أكن موجودًا."

هذا هو ما تعلمته من الكِبر. ليس هناك إجابات. ليس هناك معنى. فقط وهم جديد، عبء جديد، وكراهية جديدة لنفسك وللعالم.

عندما كنت صغيرًا، كانت حياتي أبسط. كان الألم مجرد دمعة تخفيها وسادة صغيرة. كان الخوف مجرد وحش تحت السرير. لكن الآن، كل شيء أكثر تعقيدًا. الألم لا يختفي، بل يلتصق بك كظلك. الخوف ليس وحشًا تحت السرير، بل هو الوحش الذي ينام بداخلك، يأكل من روحك ببطء.

كبرت، وبدأت أقول: "أتمنى لو كنت صغيرًا."

لكن العودة إلى الماضي ليست خيارًا. لا يمكنني العودة إلى تلك الأيام، حتى لو أردت. لا يمكنني أن أنسى كل ما رأيته، كل ما عشته.

كبرت، وبدأت أفهم أن الحياة ليست سوى دائرة من الأماني المستحيلة. عندما تكون صغيرًا، تحلم بأن تكون كبيرًا. وعندما تكبر، تحلم بأن تختفي. وبين الحلم والحلم، تعيش في حالة من

الفراغ، تتظاهر بأنك تفهم ما يحدث، بينما في الحقيقة، لا تفهم شيئًا.

الآن، أجلس في ظلام غرفتي وأفكر: ماذا أريد حقًا؟

الجواب دائمًا هو نفسه. لا أريد شيئًا.

أتمنى فقط أن أكون غير موجود. لا صغيرًا ولا كبيرًا. فقط غائبًا.

غربة الذات

أجلس في الزاوية المظلمة من غرفتي، أستمع إلى صوت الصمت الذي يحيط بي كأنه سجنٌ أُحكم إغلاقه. الضوء الخافت من النافذة يمر كأنه يتسلل بخوف، كأنه لا يريد أن يزعجني، أو ربما لا يريد أن يرى ما أصبحت عليه.

أشعر وكأنني غريبٌ في هذا الجسد. هذا الجسد الذي من المفترض أن يكون لي، لكنه ليس لي. أتحرك فيه كأنني

مستأجر مؤقت، بلا شعور بالانتماء أو الملكية. كل شيء فيه يبدو خاطئًا. ملامحي، يدي، صوتي. حتى أنفاسي، تبدو كأنها ليست لي.

أحيانًا، أضع يدي على وجهي وأغمض عينيّ، أحاول أن أتذكر كيف شعرت ذات مرة بأنني موجود. لكنني لا أستطيع. أصبح الوجود شيئًا غريبًا، عبئًا لا يمكنني التخلص منه، كأنه لعنة أُلقيت عليّ منذ ولادتي.

أشعر بالغربة في كل شيء. في هذا الجسد، في هذه الغرفة، في هذا العالم. حتى بين البشر، الذين يفترض أنني واحد منهم، أشعر بأنني دخيل. كأنني أتيت من مكان آخر، مكان لا ينتمي إلى هذه الفوضى.

أتساءل دائمًا: كيف يعيشون؟ كيف يتحركون بثقة، يتحدثون دون تردد، يضحكون وكأن الحياة تستحق؟ أراقبهم من بعيد، كأنني أدرس نوعًا غريبًا من الكائنات. وجوههم مليئة بالتعبير، لكنني لا أستطيع أن أصدقها. كل شيء يبدو زائفًا، تمثيلية متقنة يخدعون بها أنفسهم قبل أن يخدعوا الآخرين.

أذكر عندما حاولت أن أكون مثلهم. كنت أجلس وسطهم، أبتسم، أضحك، أقول الكلمات المناسبة في الوقت المناسب. لكنني شعرت بأنني أرتدي قناعًا ثقيلًا، قناعًا يكتم أنفاسي. كانوا ينظرون إليّ، يظنون أنني مثلهم، لكنني كنت أعرف الحقيقة. كنت مختلفًا، وغربتي عنهم كانت أعمق مما يمكنهم أن يتخيلوا.

الغربة ليست في المكان فقط، بل في الداخل. أن تشعر أنك غريب عن نفسك، عن أفكارك، عن كل شيء يفترض أنه يُشكلك. كنت أنظر في المرآة، أبحث عن نفسي، لكن ما كنت أراه كان وجهًا غريبًا. ملامح ليست لي، عيون فارغة، وشفتان لا تعرفان كيف تنطقا بالحقيقة.

أحيانًا، أحاول أن أستعيد إحساسًا بالواقع. أن ألمس الأشياء من حولي، أن أستمع إلى صوتي وأنا أتحدث. لكن كل شيء يبدو بعيدًا، كأنني أعيش في حلمٍ لا ينتهي.

الغربة، يا لها من كلمة ثقيلة. ليست مجرد شعور، بل هوية كاملة. أن تكون غريبًا يعني أن تكون معزولًا حتى عن نفسك،

أن تبحث عن شيء لا يمكنك أن تجده، أن تسير في طريقٍ بلا نهاية.

أحيانًا، أفكر أن هذه الغربة ليست لعنة، بل هي حقيقتي. ربما أنا لم أكن من المفترض أن أكون جزءًا من هذا العالم. ربما أنا مجرد خطأ، شيء أُضيف إلى هذا العالم بالخطأ، ولم يعرف كيف يتعامل مع وجوده.

الليلة، جلست تحت ضوء القمر. نظرت إليه، وتساءلت: هل يشعر القمر بالغربة أيضًا؟ هل يعرف أنه مختلف عن كل شيء من حوله؟ أم أنه تقبل وحدته، وقرر أن يكون كما هو؟

ربما أنا مثل القمر. بعيد، غريب، لكن لا يمكنني أن أكون أي شيء آخر.

لقد تعبت.

الكتاب

وجدتُ الكتاب ملقى بجوار الجثة، مفتوحًا عند الصفحة الأخيرة، والأوراق مُلطخة بدمائه. لم يكن هذا مجرد كتاب. كان أشبه بصندوق أسرارٍ مظلم، مليء بالكراهية، الألم، والفراغ الذي لم يستطع صاحبه أن يحتمله.

الجثة كانت ملقاة بطريقة فوضوية، كأنها صرخت قبل لحظاتها الأخيرة، ليس طلبًا للنجاة، بل إعلانًا للرفض. لقد كان المشهد قاسيًا، ولكن ليس بسبب الدماء أو الجراح. القسوة كانت في الصمت. ذلك الصمت الثقيل الذي يُخبرك أن كل شيء قد انتهى، وأنك واقف أمام عمله الأخير.

فتحت الكتاب وبدأت أقرأ. كانت الكلمات تتدفق كأنها صرخات مكتومة، كل جملة أشبه بخنجر مغروس في الورق. كتب عن كرهه للبشرية، عن الكذب الذي يملأ حياتهم، عن الوحدة التي كانت تمزقه كوحشٍ لا يرحم. كان يكتب وكأن الورق هو مرآته الأخيرة، المكان الوحيد الذي استطاع أن يُفرغ فيه كل شيء.

"لن تعرف كيف أنهي هذا الكتاب"، هكذا كانت كلماته في الصفحة الأخيرة. "لن تعرف النهاية، لأنني لم أكتبها بعد.

لكنني أعرف أنني سأجعلها فوضوية، قاسية، لا تُنسى، مثل حياتي تمامًا."

لم أستطع إلا أن أتخيل اللحظات الأخيرة. هل كان يمسك القلم بيدٍ مرتعشة؟ هل كان يفكر في الطريقة الأكثر إيلامًا ليُنهي بها كل شيء؟ أم أنه قرر فجأة، بلا تخطيط، كأنه كان يهرب حتى من نفسه؟

الطريقة التي اختارها... لن أصفها، لأنني لا أريد أن أُعيد تلك الصورة في ذهني. لكن دعني أقول لك، إنها كانت أبشع من أي شيء قد تتخيله. كأن جسده كان يريد أن يُعبر عن كل الألم الذي عاشه دفعة واحدة، أن يترك أثرًا لا يُمحى.

الآن، وأنا أقرأ هذه الكلمات، أشعر وكأنني أتحدث إلى شبحه. كأنه لم يغادر تمامًا، بل ترك جزءًا منه هنا، على الورق. لا أعرف إن كان يريد منا أن نفهم، أو أن نكره كما كره، أو فقط أن نرى العالم كما رآه.

لكن هناك شيء واحد أعرفه: هذا الكتاب ليس مجرد كلمات. إنه مرآة سوداء، تعكس الظلام الذي نحاول جميعًا الهروب

منه. إنه تذكير بأننا جميعًا نعيش في نفس القفص، حتى لو حاولنا أن نزينه بالألوان الزائفة.

إلى القارئ الذي يحمل هذا الكتاب بين يديه الآن: ربما ستجد في هذه الصفحات شيئًا يشبهك. ربما ستكرهها، أو تخاف منها، أو حتى تشعر بالراحة في وجودها. لكن تذكر، الكاتب لم يترك النهاية مفتوحة لتضيف شيئًا، بل لتأخذ شيئًا.

هذا الكتاب لم يكن فقط مرميًا بجانب الجثة. هذا الكتاب هو الجثة.

الحكاية التي لا يريدون سماعها

وقفتُ أمام دار النشر، أحمل الكتاب بين يديّ كأنه جزء مني، أو ربما جزء منه. كنت قد قرأته مرات ومرات، كل كلمة محفورة في ذهني كأنها وُجهت إليّ شخصيًا. الكتاب لم يكن مجرد سردٍ لحياة الكاتب، بل كان صرخة في وجه العالم، تلك الصرخة التي خنقها الجميع.

دخلت إلى المبنى، كنت أتصور أنني سأجد هناك من يفهم. أنني سأجد شخصًا يرى في هذا الكتاب ما رأيته أنا. لكن النظرات الأولى كانت كافية لإخباري أنني في المكان الخطأ.

"كتاب مثل هذا؟" قال أحد المحررين، وهو يقلب الصفحات ببرود. "لا يمكن نشره."

"لماذا؟" سألت بصوتٍ حاولت أن أُخفي فيه الغضب.

نظر إليّ كأنني أحمق. "إنه مُظلم جدًا. الناس لا يريدون قراءة شيء كهذا. إنه... خطير."

خطير؟

هذا ما قالوه. الكتاب خطير. ليس لأنه يهاجم أحدًا، بل لأنه يعكس الحقيقة. يعكس البشر كما هم: وحوشًا مقنعة، أكاذيب تمشي على قدمين، ظلالًا فارغة تظن أنها تملأ هذا العالم بشيء من المعنى.

"لكن هذا هو الهدف، أليس كذلك؟" قلت، وأنا أحاول أن أُقنعهم. "أن يواجه الناس أنفسهم؟ أن يروا القبح الذي يحاولون إخفاءه؟"

ضحك المحرر ببرود. "الناس لا يريدون الحقيقة. يريدون الهروب منها. يريدون قراءة أشياء تُطمئنهم أنهم بخير، أنهم ليسوا المشكلة. هذا الكتاب... لن يُباع. ولن يُقبل."

خرجت من المكتب وأنا أشعر وكأنني أحمل جريمة، وليس كتابًا. لكن هل كانوا على حق؟ هل هذا الكتاب خطر؟ أم أنهم فقط يخافون من أن تُعريهم الكلمات؟

عدت إلى غرفتي. جلست أمام الكتاب مرة أخرى. نظرت إلى الغلاف، إلى الصفحة الأولى، إلى الكلمات التي سكب فيها الكاتب روحه. شعرت وكأنه معي، يجلس بجانبي، يراقبني، ينتظر قراري.

"لن أتركهم يسكتونك." قلت بصوت مرتجف، وكأنني أخاطبه مباشرة.

إذا كانت دور النشر ترفضه، إذا كان العالم يخشى سماعه، سأجد طريقة أخرى. العالم الرقمي كان مفتوحًا أمامي. فضاء لا حدود له، حيث لا رقابة، ولا حواجز، ولا مكان للخوف.

بدأت في تحميل الكتاب. صفحة تلو الأخرى. كل كلمة منه كانت ثقيلة، كأنني أضع الحقيقة على أكتاف القراء الذين لا يعرفون ما ينتظرهم.

لم أكن أعرف كيف سيرد الناس. ربما سيحبونه، ربما سيكرهونه، ربما سيغلقون أعينهم عنه كما فعلوا دائمًا. لكنني كنت أعرف شيئًا واحدًا: هذا الكتاب يجب أن يُسمع.

الكاتب الذي خط هذه الكلمات بدمه لم يكن مجرد إنسان فقد إيمانه بالحياة. كان مرآة لكل ما نحاول أن ندفنه في أعماقنا. كان شاهداً على قبح البشر، وعلى كذبهم الذي أصبح حياتهم.

هذا الكتاب ليس مجرد كلمات على ورق. إنه صرخة ميت، ورسالة من شخص لم يُعط فرصة للعيش.

إذا كنت تقرأ هذه الكلمات الآن، فهذا يعني أن الكتاب وصل إليك.

فقط تذكر: هذا ليس كتابًا عاديًا. هذا كتاب يعكسك.

نهاية الكتاب.